وزارة التعليـــم العالـــي والبحث العلمي

جامعة العربي التبســي - تبسة

جامعة العربي التبسي – تبســـــــة
UNIVERSITY LARBI TEBESSI – TEBESSA

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
UNIVERSITE LARBI TEBESSI – TEBESSA-

قسم: التاريخ والآثار

الميدان: علوم إنسانية وإجتماعية

الشعبة: علوم إنسانية

التخصص: تاريخ معاصر

العنوان

علاقة الحبيب بورقيبة والباي محمد الأمين (1955 – 1957م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر "ل م د"

دفعـــــــــــة: 2018

إعداد الطلبة:

1-إبتسام لزعر

2-صبرينة مراحي

إشراف الأستاذ: الجودي بخوش

جامعة العربي التبسي - تبسة
Université Larbi Tebessi - Tebessa

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
الجودي بخوش	أستاذ	مشرفا
مها عيساوي	أستاذ محاضر/أ	رئيسا
نجاة بورنان	أستاذ مساعد/أ	ممتحنا

السنة الجامعية: 2018/2017

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، سطور الشكر غالبا ما تكون في غاية الصعوبة عند الصياغة فالكلمات مهما بلغت وارتقت إلا أنها تقف عاجزة أن أردنا أن نقدم شكرنا لمن كان له الفضل علينا كما نتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير إلى الأستاذ: "جودي بخوش" لتفضله بالإشراف على هذا البحث، فكانت لنا نعم المعلم الناصح، فله علينا دين سنبقى عاجزين على أدائه وأسأل الله أن يجعل ما قدمه لنا في ميزان حسناته.

- إلى أساتذتي الأعزاء الذين سأنال شرف مناقشتهم لبحثي هذا، فلهم الشكر والعرفان.
- ونخص بالذكر شكرا وعرفانا للأستاذة القديرة: بورنان نجاة

قائمة المختصرات:

أ- باللغة العربية:

د.ن: دون ناشر

د.ت: دون تاريخ

ج: جزء

تر: ترجمة

تع: تعريب

تق: تقديم

ط: طبعة

ص: صفحة

ع: عدد

مج: مجلد

ب- باللغة الأجنبية

éd : Edition

Op- cité : ouvrage précitée

P : page

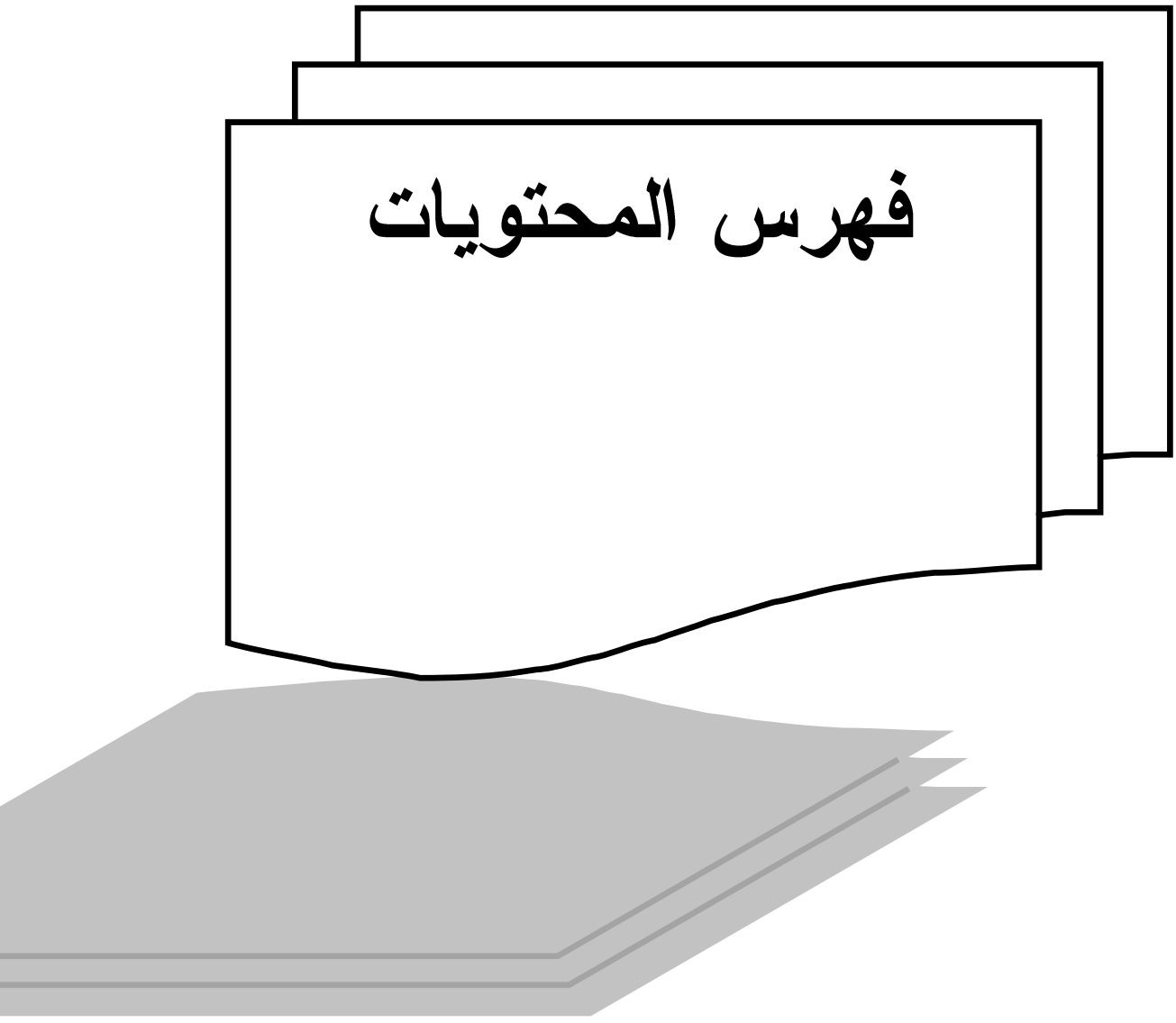

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	-
قائمة المختصرات	-
فهرس المحتويات	01
مقدمـــــــــــــــــة	08-03
الفصل الأول: الحماية الفنسية على تونس	45-09
المبحث الأول: جغرافية تونس	15-11
المبحث الثاني: الحماية الفرنسية ومظاهر المقاومة	25-16
المبحث الثالث: بوادر العمل السياسي في تونس	34-26
المبحث الرابع: الحزب الحر الدستوري التونسي	45-34
الفصل الثاني: نشاطات بورقيبة السياسية والفكرية	69-47
المبحث الأول: الحبيب بورقيبة ونشاطه السياسي	63-48
المبحث الثاني: الإستقلال التام	65-63
المبحث الثالث: حكومة بورقيبة وأهم إنجازاته	69-65
الفصل الثالث: علاقات بورقيبة الخارجية لتونس المستقلة	90-70
المبحث الأول: إزاحة الباي 25 جويلية 1957م	74-72
المبحث الثاني: العلاقات الخارجية لبورقيبة	89-75
المبحث الثالث: بورقيبة والدولة الحديثة	90-89
خاتمـــــــــــــــــة	94-92
ملاحـــــــــــــــــق	138-96
قائمة المصادر والمراجع	145-140
ملخص	-

مقدمة

خضعت تونس للإستعمار الفرنسي، والذي كان موجودا قبل فرض الحماية الفرنسية من خلال الجالية الفرنسية الموجودة في تونس وسيطرتها على المشاريع التونسية الكبرى، هذا الوجود الفرنسي الشامل جعلها تفرض الحماية على تونس تحت ضغط من القوات العسكرية يوم 12 ماي 1881م، غلا أن هذا الاخير لم يلغي النضام السياسي وجعلته تحت تصرف المقيم العام الفرنسي الذي جرد نضام البايات من سيادتهم على السلطة، وكان رد فعل الشعب على الاستعمار الفرنسي رفض معاهدة باردو في 12 ماي 1881م التي تنص على التدخل الفرنسي في الشؤن الخارجية والمالية لتونس، وكذالك معاهدة المرسى في 8 جوان 1883 م التي اصبحت بموجبها فرنسا تتدخل في الاحوال الداخلية لدولة التونسية وفقا لاحكام المعاهدة، كذالك واجها الشعب التونسي القوات الفرنسية بكل مايملكون من قوة حتى يتم تحقيق النصر لوطنهم، لكن هذه المواجهة باءت بالفشل لعدم التكافؤ في الإمكانات التسليحية وإنتقالهم في مرحلة ثانية الى الكفاح المسلح الذي تمثل في الحركة الوطنية للدفاع عن حرية وكرامة الشعب التونسي وتطهير أرضه من الغزاة والضلم.

ويعد موضوع بحثنا من المواضيع الهامة في التاريخ المغاربي سياسيا وفكريا ثقافيا ويكمن في العلاقة بين الحبيب بورقيبة المناضل السياسي التونسي المتاثر بالثقافة الفرنسية عن طريق المدرسة الفرنسية حيث قام باعمال ساسية وهو في معهد الصادقية كمشاركته في مظاهرة 5 أفريل لدفاع عن الفكرة الوطنية أما الباي محمد الأمين الذي يعد آخر البايات الأسرة الحسينية الذي حاول أن يحافظ على النظام داخل تونس وبناء دولة ملكية لا جمهورية وتحقيق جزء من مشروعه الإقتصادي والثقافي حسب تصوره في عصره.

وسنحاول في هذه المذكرة أن نقوم بدراسة فكرية ثقافية وسياسية للمناضل لحبيب بورقيبة الذي برز في الحركة الوطنية مناضلا من أجل القضية الوطنية منذ البداية الى غاية إلغاء قانون الحماية على تونس وحاول النهوض بوطنه فسعى إلى التطوير والبناء إلى غاية إستقلال بلاده.

1- **أسباب إختيار الموضوع:** هناك أسباب كثيرة دفعتنا لإختيار الموضوع منها

أ- الذاتية:

- محاولة معرفة السياسة الإستعمارية التي إنتهجتها فرنسا على تونس وكيف واجها الشعب التونسي هذه السياسة وكيف إستطاع أن يحافظ على مقوماته وهويته والإعتزاز بهما على الرغم من لجوء الإستعمار الفرنسي إلى كل الوسائل القمعية لإزالة المجتمع التونسي من الوجود.
- إعجابنا بدراسات المقارنة في مجال العلوم الإنسانية والإجتماعية ولاسيما عندما يتعلق الأمر بالشخصيات الوطنية العربية التي خاضت تجربة في الكفاخ والنضال.
- الرغبة في البحث في تاريخ المغرب العربي في فترة الإستعمار.

ب- الموضوعية:

- محاولة معرفة الإختلاف بين السياسة والأساليب التي إتبعها كل من المناضلين
- موضوع لحبيب بورقيبة موضوع مشوق للقراءة والدراسة لأنه وقف أمام الإستعمار بأفكاره الناشدة لإحترام حقوق الإنسان.

2- إشكالية الموضوع:

إن الإشكالية الأساسية التي تعالجها هذه المذكرة تتعلق بالبحث في المنطلقات الفكرية والسياسية التي إنطلق منها كل من الأمين باي حاكم لتونس تحت الحماية الفرنسية والذي يمثل السلطة والذي يمثل السلطة التقليدية الموروثة عن العهد العثماني، والرئيس الحبيب بورقيبة كرئيس للحزب الدستوري التونسي الذي بدأ يسيطر على الساحة السياسية بعد الحرب العالمية الثانية ومن هنا نطرح الاشكالية التالية:

هل العلاقة بين الرجلين كانت متطابقة ومتجانسة طول الفترة التي قضاهما في الساحة السياسية أيام معركة تحرير تونس؟ أو كانت تتغير بتغيير معطياتها؟

ولتوضيح هذه الاشكالية اكثر يمكن طرح التساؤلات التالية:

- هل كان للحبيب بورقيبة ارادة وطموح في الحكم في تونس ام نظاله كان تبرير على انتمائه الوطني والرغبة في الدفاع عنه؟
- هل الإستقلال الداخلي أضعف محمد أمين باي وجعل في المقابل الحبيب بورقيبة أقوى واكسبه نقاط سياسية في الساحة؟
- هل التقارب الذي بدأ يظهر بين الحركة اليوسفية المعادية الرافضة لطبيعة الإستقلال الذي حازته وساهم في إطاحة الأمين باي؟
- هل إستراتيجية الحبيب بورقيبة القائمة على ما أسماه سياسة المراحل كانت المسلك الوحيد الذي من خلاله تمكنت تونس من الحصول على الإستقلال دون خسائر؟
- هل كان نشاطه وإستراتيجيته النضالية قادرة على إخراج المجتمع التونسي من الإحتلال؟
- فيما تمثلت توجهات تونس الخارجية بعد إعلان الجمهورية؟
- هل هذه السياسة الخارجية تغيرت بعد إطاحة الأمين باي ومجيء الحبيب بورقيبة أم بقيت على حالها؟

3-خطة البحث:

ولتتبع الدراسة تم تقسيم المذكرة إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة والتي جاءت كالآتي:

الفصل الأول: تناولنا فيه الحماية الفرنسية على تونس ومظاهر المقاومة وتم تقسيمه إلى أربعة مباحث **المبحث الأول:** تناولنا فيه الموقع الجغرافي لتونس والأهمية الإستراتيجية التي تزخر بها تونس، **المبحث الثاني:** تناولنا فيه فرض الحماية الفرنسية على تونس وماهي الذرائع التي إتخذها الإستعمار إلى إحتلال تونس أما **المبحث الثالث:** تناولنا فيه بوادر العمل السياسي حيث أصبحت النخبة التونسية المثقة رافضة للإستعمار الفرنسي وممارستها نضال سياسي بوسائل سلمية أما **المبحث الرابع:** تناولنا فيه جذور الحزب الدستوري القديم والجديد.

الفصل الثاني: نشاطات بورقيبة السياسية والفكرية وتم تقسيمه إلى ثلاث مباحث **المبحث الأول:** تناولنا فيه النشاط السياسي الذي مارسه بورقيبة من بداية دراسته في معهد الصديقية إلى غاية ومشاركته في الحزب الحر الدستوري كزعيم له ومشاركته في لجنة تحرير المغرب العربي بهدف التعريف بالقضية التونسية في هيئة الأمم المتحدة كذلك نشاطه في المشرق العربي وإنتهاجه سياسة جديدة ترفع بالقضية التونسية نحو التقدم أما **المبحث الثاني:** تناولنا فيه عن الإستقلال التام لتونس الذي وقع عنه في 20 مارس 1956م ومحاولة بورقيبة بكل تصدي خروج أمته من الإحتلال الفرنسي أما **المبحث الثالث:** تناولنا فيه عن بداية حكومة بورقيبة للدولة التونسية وأهم إنجازاته ونشاطاته التي قام بها في بلاده.

الفصل الثالث: علاقات بورقيبة الخارجية لتونس المستقلة وتم تقسيمه إلى ثلاث مباحث **المبحث الأول:** تناولنا فيه كيف تم عزل الباي محمد أمين وتحويل النظام من ملكي إلى جمهوري اما **المبحث الثاني:** تمثل في ألويات تونس الخارجية بعد إعلان الجمهورية أما **المبحث الثالث:** تناولنا فيه بورقيبة والدولة الحديثة وكيف قام بورقيبة ببناء دولته المستقلة.

4-مناهج الاطروحة:

اعتمدنا في الاطروحة على العديد من المناهج اهمها:

- المنهج التاريخي الوصفي وذلك لإستعراض الأحداث التاريخية، وهذا المنهج قد خدمنا أيضا من خلال سردا للأحداث التاريخية سردا كرونولوجيا وكذلك تحليل وتفسير الظواهر في إطار سياقها التاريخي الذي نشأت فيه
- المنهج التحليلي والذي اعتمدناه في تحليل بعض المواقف التي صدرت عن الحبيب بورقيبة تحليلا موضوعيا من خلال رئاسته للحزب الدستوري ومدى فاعلية هذه المواقف تجاه السياسة الاستعمارية الفرنسية للوصول بتونس الى الاستقلال دون اي شرط.

5-**أهم المصادر والمراجع:**

أ- المصادر نذكر منها:

- الحركة الوطنية التونسية (1830 – 1956م) لمؤلفه الطاهر عبد الله حيث تناول الكاتب جميع محطات الحركة الوطنية التونسية من بدايتها إلى غاية الإستقلال سنة 1956م.
- الحبيب بورقيبة سيرة زعيم لمؤلفه طاهر بلخوجة يحتوي الكتاب على معلومات لبورقيبة خلال مدة رئاسته.
- شهاد للتاريخ لمؤلفه أحمد المستيري الذي تكلم على أهم إنجازات الحبيب بورقيبة من بداية حكمه لتونس إلى ما بعد الإستقلال.
- تونس الشهيدة لمؤلفه عبد العزيز الثعالبي إعتمدنا عليه لمعرفة إنعكاسات السياسة الإستعماري على تونس وبداية الحماية عليه وكيف بدأ الحبيب بورقيبة نضاله في الحزب التونسي.

ب- المراجع نذكر منها:

- كتاب الحركة الوطنية ودولة الإستقلال لمؤلفه خليفة الشاطر حيث مكننا الكتاب من معرفة بعض الحقائق عن الحبيب بورقيبة ونشاطه داخل الحزب الدستوري التونسي الجديد.
- ما يجب أن تعرف عن إنتصاب الحماية الفرنسية بتونس لمؤلفه على المحجوبي وقد إستفدنا من خلاله معرفة جذور الحماية الفرنسية على تونس وكذلك عن الأحزاب والشخصيات البارزة فيها.
- المغرب العربي (تونس، الجزائر، ليبيا، موريطانيا، المغرب) لمؤلفه أحمد إسماعيل راشد وقد أفادنا في الفصل الأول والثاني حول معرفة أحوال تونس خلال مرحلة الحركة الوطنية.

- كما دعمنا مذكرتنا بموسوعات كموسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم (تونس والجزائر) هذه الموسوعة أفادتنا فيما يتعلق بسقوط تونس تحت الحماية الفرنسية وموقف الشعب من ذلك وبروز الوعي الوطني وتشكيل الأحزاب الوطنية.

6-الصعوبات:

لا شك أن اي بحث يتطلب من الباحث أن يبذل كل مالديه من طاقة فكرية ومادية، ويجب على الباحث الصبر والإرادة من أجل إتمام العمل الذي يسعى إلى إنجازه وقد واجهتنا العديد من الصعوبات أثناء بحثنا حول موضوع الدراسة يمكننا ذكر بعضها وهي الأهم:

- صعوبة كبيرة في فرز المعلومات من المصادر والمراجع التي إعتمدنا عليها في بحثنا لثرائها وتنوعها وتشابهها مما أدى إلى صعوبة الفرز وجمع المادة العلمية.
- قلة الإمكانيات في الإنتقال إلى تونس لجلب المادة العلمية المناسبة مما اضطر بنا البحث بشكل موسع وبجهد أكبر في بلادنا، وقد إنتابنا الخوف والتوتر في الكثير من المرات بسبب قلة المصادر والمرتجع وعدم توفرها بشكل عادي.
- عدم توفر المادة العلمية بشكل ورقي بل وجدناه بشكل إلكتروني معظمها مما صعب علينا نقل المعلومات والإستفادة منها وأغلبها بلغة الأجنبية.
- لكن رغم هذا واجهت كل الصعوبات وحاولنا جمع ما أمكن الحصول عليه من مادة علمية ودراستها دراسة موضوعية والخروج بعمل يكون في المستوى المطلوب

وفي الأخير نرجوا أن نكون قد وفقنا في دراسة وإثراء هذا الموضوع

الفصل الأول

الفصل الأول: الحماية الفرنسية على تونس.

1-جغرافية تونس

2-الحماية الفرنسية ومظاهر المقاومة

3-بوادر العمل السياسي في تونس

4- الحزب الحر الدستوري التونسي

المبحث الأول: جغرافية تونس

1- الموقع والإمتداد

تقع تونس في شمال إفريقيا في منتصف المسافة تقريبا بين قناة السويس [1] ومضيق جبل طارق وهي أصغر البلدان مساحة (**163610كم²**) وأقلها جبالا وأكثرها تنوعا من حيث أديم الأرض وإختلاف الجو وتكون مع الجزائر والمغرب ما يسمي بدول المغرب العربي تمتد بين خطي عرض 30° و37° شمالي خط الإستواء وبين خطي طول **7.5°** و **11.6°** شرقي خط غرينتش وتحدها الجزائر غربا وليبيا من الجنوب الشرقي أما في الشمال والشرق فيحدها المتوسط حيث تمتد بعض الجزر التابعة لها وأهمها جربة [2] وكركنة [3] ويقترب شمال شرق تونس من الجزيرة صقلية [4] الإيطالية مكونا مضيق صقلية تونس 140 كلم الذي يعتبر بمثابة الحد الفاصل بين حوضي المتوسط الشرقي والغربي

2-السطح وأقسامه:

يقسم سطح تونس الى أقسام متمايزة يمكن تقسيمها بشكل عام الى المناطق التالية :

أ- **السهول الساحلية:** تمتد في شمال وشرق البلاد بطول 1300(كلم) السهل الشمالي يمتد بين شواطئ المتوسط وسفوح الجبال الأطلس وهو ضيق إجمالا بحيث لا يتسع

---

[1]- هي ممر مائي اصطناعي ازدواجي المرور في مصر يبلغ طوله 193كلم وتصل بين البحرين الابيض المتوسط و الاحمر وتنقسم طوليا الى قسمين شمال وجنوب البحيرات المرة وعرضيا الى ممربن في اغلب اجزائها لتسمح بعبور السفن في اتجاهين في نفس الوقت بين كل من اوروبا واسيا و تعتبر اسرع ممر بحري بين القارتين وتتوفر نحو 15 يوما في المتوسط من وقت الرحلة عبر طريق راس الرجاء الصالح انظر الى الموسوعة العربية الميسرة,مج,5,ص2588

[2]- هي جزيرة تونسية تقع في جنوب شرق تونس في خليج قابس تبلغ مساحتها 514كلم وتعد اكبر جزرشمال افريقيا وتلقب بجزيرة الاحلام و ادرجة ضمن قائمة التراث العالمي اليونسكو في 26ديسمبر 2016 انظر الى الموسوعة العربية الميسرة مج 3 .ص 1181.

[3]- عاطف عيد . قصة و تاريخ الحضارة العربية بين الامس و اليوم تونس و الجزائر,21,22.ص 7.

[4]- هي اكبر جزيرة في البحر الابيض المتوسط و منطقة ذاتية الحكم في يطاليا اسمها الرسمي هو منطقة الحكم الذاتي.

إلا حول خليج تونس ويتميز هذا السهل بتربته السوداء الخصبة [1] وخاصة في سهل ماطر وباجة كما يتميز بكثرة مياهه ونباتاته وغاباته وينتهي في الشمال الشرقي بشبه جزيرة شريك[2]

درج أهل البلاد على تسميتها بإسم الوطن االقبلي [3]ويمتد على هذا الساحل خليج تونس حيث يمر نهر المجردة .الذي يعتبر أهم أنهار البلاد[4]

ب- **السهل الشرقي:** تواجه تونس الحوض الشرقي للمتوسط إبتداء من الوطن القبلي بمنطقة توصف – دون غيرها من تونس – بأنها الساحل وهي أكبر أقاليم تونس كثافة بالسكان تبدأ في النفيضة وتنتهي عند مدينة صفاقس [5]عاصمة الجنوب بطول حوالي 300 كلم ومعدل عرض 20 الى 80 كلم –عاصمتها مدينة سوسة – وأرض هذا الساحل مستوية وخصبة فيها بعض المستنقعات وأهمها مستنقع مائي أما شواطئ هذا الساحل فهي صخرية في الشمال رملية في الجنوب وتكون بعض الخلجان الطبيعية المهمة وأبرزها الحمامات وقابس[6]

ج – **الأقاليم الجبلية:** تمتد في شمال غرب البلاد وتلي السهول الساحلية مباشرة وهي تشمل الأطراف الشرقية القليلة الإرتفاع من سلاسل الأطلس التلي الصحراوي التي تمتد على طول الساحل الشمالي لدول المغرب العربي وهي تتجه في تونس نحو الشمال

---

[1]- منطقة خصبة ذات أسواق نافقة وعمارات متصلة يوجد بها بعض القرى الواقعة في المنطقة الداخلية منها قرية القرشيين و الصقالبة و قرية اللوزة.

[2]- احمد اسماعيل راشد: تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي الحديث و المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 2004، ص 87.

[3]- يتميز تنوع منتوجاتها من الصناعات التقليدية التي ساهمت بدرجة كبيرة في التعريف بالجهة في الدخل والخارج واستقطاب السياح وتنشيط الحركة التجارية.

[4]- أحمد إسماعيل راشد: المرجع السابق، ص ص 87-88.

[5]- هي ولاية تونسية تاسست في 21 جوان 1956 بمقتض امر ملكي وتبلغ مساحتها 7.545 كلم وتعداد سكانها في سنة 2014 حوالي 955.421ن وهي بذلك ثاني ولاية من حيث عدد السكان

[6]- مدينة تونسية ومركز ولاية قابس يقطنها حوالي 130.984 ن تقع المدينة على الخليج الذي يحمل نفس الإسم والذي يعتبر من أهم المحميات الطبيعية بالبلاد التونسية.

الشرقي مخلفة فيها بينها عددا من الوديان والسهول المرتفعة المهمة وأهمها وادي نهر المجردة ووادي سليانة ووادي نهر مليانة وسهل سرس المرتفع أما أشهر جبال هذه السلاسل فهي جبل الشعانبي[1] 1544 كلم وجبل عين دراهم 1000م بالإضافة إلى جبال مقعد وخمير ونقرة.

د – **إقليم الهضاب:** يمتد جنوب الإقليم الجبلي وغرب الساحل الشرقي وهو عبارة عن هضاب مستوية السطح تمتد بمعدل إرتفاع 500م ترتفع في الغرب حيث تنحدر منها مجاري مائية ذات تصريف داخلي وأهمها وادي مرسالة ووادي زرود وتعرف هذه المناطق بخضوعها للماء بحيث تفيض أنهارها إذا أمطرت فتغرق ما حولها وتجرف أديم الأرض وإذا إنحبست الأمطار جفت الأرض وتشققت[2]

هـ – منطقة الشطوط والبحيرات والصحراء: تنخفض الأرض في بعض المناطق الغربية الجنوبية من تونس عند الحدود الجزائرية بحيث تصل إلى ما دون مستوى البحر المتوسط فتكون بحيرات واسعة تسمى الشطوط وإهمها شط الجريد[3] وشط الغرسة[4] وشط الفجاج [5] ثم تمتد مساحات الجنوب في تدرج نحو الجفاف ورمال الصحراء، يرافقه تدرج مماثل في إبتعاد المدن عن بعضها البعض وضعف كثافة السكان وظهور الواحات بتخيلها بالإضافة إلى ظهور بعض الهضاب والمرتفعات والكثبان الرملية التى يفصلها سهل جفارة

---

[1]– هو أعلى مرتفع في تونس تبلغ قمته 1544م يقع في الوسط الغربي التونسي وهو مغطي بغابة من الصنوبر الجبلي محمد موسى محمود, موسوعة الوطن العربي دجلة,عمان ,2008 ص ص 194–196.

[2]– محمد موسى محمود, موسوعة الوطن العربي دجلة,عمان ,2008 ص ص 194–196.

[3]– هو شط يقع في الصحراء التونسية يمتد من مدينة قبلي شرقا إلى مدينة خروة غربا يبلغ عرضه الأقصى 120 كلم ويشغل مساحة 7000كلم² يعتبر من أهم مميزات الجنوب الغربي التونسي تنفجر فيه المياه في الشتاء وفي الصيف تكسوه طبقة من الملح.

[4]– هو شط يقع في الصحراء التونسية شمال غرب مدينة توزر على الحدود التونسية الجزائرية حيث يتصل بشط الخلة بالجزائر.

[5]– هو شط يقع في الصحراء التونسية و يمتد من مدينة قابس شرقا إلى قرية الربابشة غربا حيث يتصل بشط الجريد يبلغ عرضه 30 كلم و طوله 90 كلم

عن المتوسط أما أقصى الجنوب فهوعبارة عن مرتفعات هضبية 500–1000م تطل على البحر الأبيض المتوسط عبر سهل ساحلي جاف. [1]

ت– المناخ والثروة المائية:

يتدرج مناخ تونس المتوسطي في الشمال إلى صحراوي في الجنوب ففي الشمال تعرف البلاد مناخا معتدلا شتاء مع (معدل حرارة 27°) وأما في الداخل فترتفع درجات الحرارة قليلا وتقل كميات الأمطار بسبب الحواجز الجبلية (الأطلس) التي تمنع وصول مؤثرات الرياح المتوسطية الرطبة وتزيد الحرارة في الربيع والصيف مع هبوب رياح السيروكووالسموم الحارة وتصل الحرارة الى حوالي 40° وبخاصة في جنوب وسط البلاد أما امطار الشمال فهي الأكثر في البلاد وتتراوح بين (600 ملم) على السواحل و(1300ملم) على المرتفعات وتقل هذه الأمطار في الهضاب الوسطى وسهل سرس حيث تتراوح بين (300و600 ملم) في السنة.

أما المناطق الجنوبية من البلاد فيسيطر عليها الجفاف بمقدار التوجه نحو الداخل حيث يسيطر المناخ الصحراوي الحار أهمية الأمطار لتتراوح بين (400و600ملم) في السنة هذا من حيث المناخ أما من حيث المياه فتونس فقيرة إجمالا بثرواتها المائية بإستثناء المناطق الشمالية التي تروى من مياه الأمطار بالإضافة إلى نهر المجردة (412 كلم) الذي ينبع من الجزائر[2] وينتهي بدلتا ضخمة على المتوسط شمالي مدينة تونس وتغذية روافد عديدة أهمها نهر ملاق[3] أما في وسط البلاد وجنوبها فإن الأنهار قليلة وهي نادرا ما تصل إلى المتوسط لقلة الأمطار التي تغذيها ولتدفق المياه عند نزول الأمطار على نحو يمنع الإنسياب العادي

[1]– اسماعيل احمد ياغي: تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان، ط1، 2000، ص339.

[2]– عاطف عيد: المرجع السابق، ص – ص 8–10.

[3]– نهر ملاق او سرنير على وادي ملاق الذي يتبع بالاراضي الجزائرية ويقع على بعد 7 كلم من بير اقيم هذا البر خلال الفترة الاستعمارية فيها بين 1949 1956م يبلغ ارتفاعه 65 م

ويحدث فيضانات وعرق الناس والزرع ويقطع الطرقات ويجرف الأراضي ولاتمر أيام حتى يرى قعر الوادي جافا يتشقق بحرارة الشمس [1].

أما البحيرات فأهمها بحيرة تونس بحيرة بنزرت وبحيرة أشكل وتقع جميعها في شمال البلاد أما في الوسط والجنوب فبحيراتها كبيرة تراها في الخريطة ولاترى منها في الواقع إذا إنقضى فصل الشتاء إلا بريق الأملاح التى يتركها التبخر فوق أرضها بإستثناء بحيرة الكلبية[2] في منطقة الساحل [3].

[1]– عاطف عيد: المرجع السابق، ص 11.

[2]– تقع على بعد 25 كلم شمال غربي مدينة سوسة وتبلغ مساحتها 8732 هكتار ويقيم بها حوالي 200 الف طائر مائي تكون البحيرة عميقة في الشتاء الا انها تتبخر في الصيف لتصبح كثيرة الملوحة وتغطيها طبقة من الملح.

[3]– راغب السرجاني: قصة تونس من البداية الى ثورة 2011 , دار اقلام النشر والتوزيع والترجمة , 2011 , ص8

المبحث الثاني : الحماية الفرنسية ومظاهر المقاومة

المطلب الأول: ظروف احتلال تونس :

في أواخر القرن 19 عرفت البلاد التونسية ضعفا كبيرا بسبب الفساد الذي شهدته في تلك الفترة وهذا ما أدى إلى إشتداد التنافس بين الدول الأوروبية من أجل السيطرة على نفوذ الإقتصاد التونسي ومن بين هذه الدول فرنسا بحكم وجودها في الجزائر وإيطاليا بحكم قرب اراضيها من تونس وكان على كل من الدولتين ايجاد التاييد الدولي لتحقيق تلك الاطماع نظرا لاهمية موقع تونس[1] وبعد إنعقاد مؤتمر برلين سنة 1878 م شجعت كل من إنجلترا وألمانيا وفرنسا على بسط نفوذها [2] فانجلترا تخلت عن تونس لفائدة فرنسا مقابل هيمنتها على قبرص وقد صرح وزير خارجية إنجلترا اللورد ساليسبوري [3] لنظيره الفرنسي واد تفتون بقوله " إحتلوا تونس إن شئتم فانجلترا لاتمانع في ذلك بل تحترم قراراتكم " ووجدت فرنسا نفس الدعم من ألمانيا اذا أيد المستشار الالماني بسمارك[4] المقترح البريطاني المتعلق بتونس ويهدف من وراء ذلك إلى منع التعويضات لفرنسا لصرف نظرها عن مقاطعتين الألزاس واللورين التى ضمتها المانيا سنة 1870م وقد أكد بسمارك ذلك في 04جانفي 1879م في حديث له مع سفير فرنسا ببرلين الكونت دي سانت فاليي ذكرفيه"انني أعتقد ان الإجاصة التونسية قد نضجت وان لكم أن تقطفوها "[5]

---

[1]– شوقي ابوخليل : الإسلام وحركات التحرر العربية , دار الرشيد , مصر , 1976 ص 106

[2]– فيصل محمد موسى : موجز تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المقترحة، ليبيا، (بنغازي)، 1997، ص 130

[3]– روبرت سيسل أو روبرت غاسكوين سيسل ويعرف ايضا بلقب ماركيز ساليسبوري الثالث هو سياسي بريطاني تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا ثلاثة مرات.

[4]– رجل دولة وسياسي بروسي ألماني. شغل منصب رئاسي .الوزراء مملكة بروسيا.أشرف على توحيد الولايات الالمانية وتأسيس الامبراطورية الألمانية.

[5]– علي المحجوب: إنتصاب الحماية الفرنسية على تونس، تع عمرين ضو واخرون، سراس لنشر، تونس، 1986، ص35

أما فيما يخص الموقف الايطالي فبقي العقدة الوحيدة أما فرنسا التي كان عليها أن تجد لها حل حتى لا تصل الأمور الى حرب وكذالك عمدت ايطاليا جاهدة معى الإنجليز وغيرهم من البلدان التي لها تأثير على منع الفرنسيين على إتمام الخطوة الأخيرة. لكن هؤلاء أثاروا عدم التدخل, وسعت إيطاليا إلى التنازل من جانب تونس عن ميناء بنزرت لكن الباي رفض كل هذه التحركات، جعلت فرنسا تزيد في سرعتها للسيطرة على تونس وذلك من خلال حشد قواتها على الحدود التونسية والتي أرفقتها بضغوط اقتصادية وسياسية على إيطاليا لضمان عدم تدخلها[1]فمهدت فرنسا لحملتها على تونس باثارة مشكلة القبائل على الحدود التونسية الجزائرية حيث تذرعت الحكومة الفرنسية على أن هذه القبائل قد خرجت من يد حكومة الباي وانها تشن غارات بإستمرار على القرى الجزائرية القريبة وقد تكبد الفرنسيين من جراء هجماتها خسائر كبيرة، وفي سنة 1879م عرضت فرنسا على الباي محمد الصادق[2]عن طريق قنصلها روستان [3]مسودة لمعاهدة الحماية اقترحت عليه التوقيع بطريقة ودية لكن الباي رفض ذلك مما دفع بروستان الى ان يطلب من حكومته ارسال الاسطول باتجاه المياه التونسية وتهديد الباي لعله يقتنع بلعدول عن المعارضة[4] و لقد بررت الحكومة الفرنسية ضرورة حماية الحدود الجزائرية برز تدخلها العسكري في تونس مدعية أن الحدود تتعرض باستمرار لهجمات القبائل التونسية خاصة قبائل بني خمير[5] وأخر حدث سجل هو إغتيال مواطن من أولاد سدرة من قبيلة خمير في شهر فيفري 1881 م عثر عليه صحبة فتاة من قبيلة ناهد الجزائرية كانت على موعد معه في مقاطعة قسنطينة

---

[1]– عاطف عيد : المرجع السابق , ص 65.

[2]– من مواليد 7 فيفري 1813م باي الثاني عشر لتونس منذ سنة 1859 م الى حين وفاته أصدر خلال عهده أول دستور تونسي بدأ العمل به يوم 26 افريل 1861م ينص على تنظيم الحياة السياسية بالفصل بين السلطات الثلاث والحد من سلطة الباي الأمر الذي دفع بإلغائه سنة 1864 كما وقع على معاهدة باردو سنة 1881 التي تشكل بداية الاستعمار في تونس .

[3]– ولد في 1868 في مدينة مرسيليا إسمه الكامل إدمزند بوجينا الكس روستان شاعر وروائي ومسرحي.

[4]– محمود علي عمار . تاريخ المغرب العربي المعاصر , منشورات جماعة دمشق , سوريا , 2006 , ص127.

[5]– قبيلة تونسية سميت باسمها السلسلة الحبلية الممتدة على ساحل البحر با لشمال الغربي من بلاد. كانوا سببا مباشرا في إنتصاب الحماية الفرنسية بالبلاد التونسية بدعوى دفاع فرنسا رعاياها في مستعمراتها الجزائرية

وكان هذا الحادث مبررا كافيا لتدخل القوات الفرنسية في الإيالة فقد جرت اثره مناوشات بين قبيلتي ناهد وخمير أدت الى تدخل السلطة الفرنسية بدعوة الحفاظ على الأمن في الحدود ثم آل الأمر إلى المواجهة بين الجيوش الفرنسية و القبائل التونسية يومي (31/30 مارس 1881م) وقد إستغل جول فيري[1] هذ الوضع فطرح المسالة أمام البرلمان وطلب منه إعتمادات قيمتها 5 ملاين فرنك فرنسي لتنظيم حملة عسكرية لمعاقبة القبائل التونسية القاطنة على الحدود و ردعها وصادف أعضاء البرلمان في 7 أفريل 1881 دون إعتراض[2].

وفي شهر ماي سنة 1881 م إحتلت الجيوش الفرنسية تونس و دخلتها من ثلاث مناطق عن طريق البر والبحر, وإحتل الجنود الفرنسيون بقيادة الجنرال بربار بنزرت , وإتجهوا نحو تونس العاصمة[3]

وفي 12 ماي كانو يعسكرون على مقربة من قصر باردو حيث قدم القنصل العام الفرنسي

"روستان" إلى الباي نسخة من المعاهدة طلب منه التوقيع عليها وهي المعاهدة التي وضعها جول فيري فجتمع الباي بمجلس الدولة التونسي ليعرض الأمر عليه , فكانت هناك معارضة من طرف المجلس مطالبين بالمقاومة .ودعوة الشعب للجهاد فتجاهل الباي المواقف المعارضة بعد ما هدده الفرنسيون بالخلع من منصبه وتعيين أخيه الطيب باي وفي الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم (12 ماي 1881 م) وقع الباي على المعاهدة[4] ويحمل توقيع الباي على المعاهدة دون مقاومة على ضعف شخصيته وذلك كانت تونس أول تجربة لنظام الحماية في تاريخ الإستعمار الفرنسي وكان الهدف من هذا النظام هو إسكات المعارضة

---

[1]– ولد في 5 افريل 1832 كان من أشد انصار الحركة التوسعية الفرنسية وهو وزير فرنسي وسياسي ودبلوماسي قام بعدة حروب أهمها الحرب الفرنسية البروسية توفي في 17 مارس 1893

[2]– علي المحجوبي: المرجع سابق , ص 40

[3]– طاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية – رؤية شعبية قومية جديدة 1830 – 1956 – مشوات دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة (تونس)، ص25.

[4]– شوقي عطا الله الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا . تونس . الجزائر . المغرب .) مكتبة الانجلو مصرية, 1977, ص –ص 307 . 308.

الدولية وخاصة إيطاليا التى كانت المنافس لفرنسا بحجة ان فرنسا لم تقضي على كيان الدولة الواقعة تحت الحماية بالضم وإقناع الحكومة الفرنسية بانها لن تتكلف أعباء مالية جديدة , ومما جاء في معاهدة الحماية أن فرنسا تشرف فنيا على الإدارة الوطنية التونسية وأن يكون الإحتلال العسكري مؤقتا [1]وقد ألحقت فرنسا معاهدة باردو[2]بمعاهدة في 8 جوان 1883 تعرف بمعاهدة مرسى[3]والتي أعطت لفرنسا صلاحيات أوسع. ووسعت من صلاحياتها لتتركز السلطات في يد المقيم العام فهو يضع المراسيم التشريعية المختلفة ويصدرها بعد توقيع الباي[4]

1- نظام الحماية و مضمونه .

يتضمن نظام الحماية سلسلة بنود جرى التوقيع عليها في معاهدة باردو سنة 1881 إحتوت هذه المعاهدة مقدمة و عشرة بنود . و تحمل توقيع الباي التونسي . تتضمن المواد و النقاط التالية[5].

المادة 01: إن معاهدة الصلح و للصداقة و التجارة و جميع المعاهدات القائمة بين الجمهورية الفرنسية و سموباي تونس قد تم تأثيرها و تجديدها.

المادة 02: لهدف تسهيل الإجراءات الأجلة لبلوغ أهداف الطرفين المتعاقدين.

المادة 03: تتعهد فرنسا يندل مساعدتها الدائمة لسمو الباي و حمايته من كل الأخطار التي تهدده مع عائلته.

---

[1]- ناهد إبراهيم دسوقي : دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر,دار المعرفة الجامعية , الإ سكندرية , 2008 , ص 146.

[2]- وقعت يوم 12 ماي 1881 بين حكومة فرنسا و باي تونس محمد الصادق . و المؤسسة لنظام الحماية . و تعلن هذه المعاهدة حماية فرنسا على البلاد التونسية . وهي تشكل بداية الإستعمار الفرنسي لتونس .

[3]- نسبة إلى إحدى ضواحي العاصمة التونسية، وقت بتاريخ: 08 جوان 1883 بين باي تونس والمقيم العام الفرنسي وقد عمقت هذه الإتفاقية الهيمنة الفرنسية على البلاد التونسية.

[4]- ناهد إبراهيم دسوقي : المرجع نفسه, ص 146.

[5]- عاطف عيد : المرجع السابق ص 61

المادة 04: تتضمن الجمهورية الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بينا الدولة التونسية ومختلف الدول الاروبية.

المادة 05: تمثل فرنسا لدى تونس وزير مقيم عام يسهل على تنفيذ شروط المعاهدة ويقوم بوصل الحكومة الفرنسية بالسلطات التونسية في جميع القضايا ذات الإهتمام المشترك

المادة 06: يكلف الممثلون الدبلوماسيون و القناصل الفرنسيون لدى البلدان الأجنبية لحماية و رعاية المصالح التونسية و متابعة شؤون رعاياها على أن يلتزم الباي بعدم عقد أي معاهدة ذات صفة دولية دون إخبار فرنسا و موافقتها مسبقا

المادة 07: تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي نفسها لنفسها بحق الإنفاق على وضع نظام مالي بمملكة من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق المملكة

المادة 08: فرض غرامات حربية على القبائل العاصمة في مناطق الحدود والسواحل تحدد قيمتها وطرق جبايتها لاحقا وتتحمل حكومة الباي مسؤولية تنفيذ هذا البند

المادة 09: تمنع حكومة الباي إدخال السلاح والذخائر الحربية إلى مناطق جزيرة جربة ومرسى وقابص والمراسي الأخرى داخل المملكة

المادة 10: تعرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للتصديق عليها وتسليم الوثيقة المصادق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس [1]

2-آثار الحماية الفرنسية على تونس:

1- سلب السيادة الوطنية بعد أن أصبح الباي في يد طيعة المقيم العام الفرنسي بتشريع القوانين.

2-فتح أبواب الهجرة إلى تونس أمام الأوروبيين و تدعيم سياسة الاستيطان بالإستلاء على أملاك البلاد.

[1]- عاطف عيد : المرجع السابق, ص 62.

3-منح الجنسية الفرنسية لجميع الأوروبيين في تونس.

4-إستحواذ الأجانب على قطاع التجارة و حصر التعليم الجامعي في أبناء الأوروبيين.

5-إستئثار الفرنسيين بالوظائف و الوزارات الهامة بعد إلغاء الوزارات الوطنية.

6-عزل أغلبية المواطنين بوضعهم في ظروف إجتماعية و إقتصادية و صحية و ثقافية سيئة جدا نتيجة إستيلاء الفرنسيين على أخصب الأراضي[1].

المطلب الثاني: ردود الفعل الوطنية

تمثلت في المقاومات الشعبية التونسية فحاول الاستعمار الفرنسي أن يسيطر على الشعب التونسي الذي إحتل بلاده وسلب حقوقه وفرض القيود عليه , فقد إتخذت

الحكومة التونسية موقف سياسي وعسكري ضد الجيش الفرنسي والذي تمثل في مقاومات شعبية

في كل من الشمال والجنوب.

1- المقاومة بالشمال :

كانت بداية حركة المقاومة في شمال البلاد بقبائل خمير و سكان الجبال , فما إن وصلت السفن البحرية ميناء طبرقة حتى هب متطوعون من أولاد بوسعيد و الحوامدة و أولاد عمر بقيادة شيوخ و مواجهة الأعداء1 , و لم تتمكن قوات الإحتلال من السيطرة على المدينة في 26 أفريل 1881م إلا بعد قصفها , و قد إعترفت السلطات العسكرية الفرنسية بأن أفراد هذه القبائل إستمروا في الدفاع طوال ساعات عديدة و لم يوقفو القتال إلا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة 2 , ثم تواصلت المقاومة في جبهة جبدوبة بمشاركة قبائل أولا سالم و الشياحية و عمدون و شهد سهل بوسالم في (30 أفريل 1881م) معركة عنيفة فدارت في موضع يعرف بـــ إبن بشير حيث تواصل القتال من الساعة الثامنة صباحا إلى السادسة مساءا , و إضطر

[1] علي المحجوبي: المرجع السابق, ص 41

المقاومون إلى التراجع و الفرار من ساحة المعركة نضرا للتفوق التقني الذي أظهره العدو في المعركة3 و لقد إمتازت قبائل "مقعد" و "هديل" في الشمال أيضا بمقاومتها الشديدة للغزاة , ففي 28أفريل1881م إستطاع أبناء مقعد الإستيلاء على سفينة حربية فرنسية أثناء غرقها في الساحل التونسي , و لم تتمكن قواة الإحتلال آنذاك من القضاء على مقاومة هذه القبائل إلا في بداية شهر جوان حيث إستسلم أبناء "مقعد" و قاموا بتسليم أسلحتهم,و تقديم الرهائن التي تم سجنهم في مدينتي عنابة و تونس[1].

[1]علي محجوبي:العالم العربي الحديث و المعاصر تخلف إستعمار فمقاومة، دار محمد علي للنشر , تونس , 2009 , ص 120

2-المقاومة في الجنوب:

أ- المقاومة في صفاقس:

كانت هذه المدينة إحدى قلاع المقاومة الصلبة في بداية الإحتلال, و يبدو أن ذلك كان بفضل المشاركة الفعالة لقائد المدفعية بالمدينة محمد الشريف مما شجع العناصر الوطنية من المدنيين على الوقوف مع الجنود أمام الأسطول الفرنسي ومن أجل ذلك تأسست لجنة الدفاع عن المدينة تضم 50 عضوا تحت رئاسة ضابط المدفعية, وبرزت عمليات المقاومة ضد الأوروبيين , خاصة الفرنسيين منهم حيث هوجمت قنصلية فرنسا, و أطاح المقاومون بالعلم الفرنسي و ضربوا نائب القنصل فيها, ثم هاجموا العامل حسين الجلولي الذي بقي على ولائه للباي حتى إضطر الأوروبيون إلى اللجوء للسفن في عرض البحر[1].

و عزز هذه الوقفة للمدينة عدد كبير من رجال القبائل برئاسة علي بن خليفة زعيم المقاومة الذي وصل إلى ضواحي المدينة و أصبح هو القائد الفعلي لها لكن هذه المقاومة لم تستطع الصمود طويلا أمام الأسطول الفرنسي الذي بلغ أوجه في 14 جويلية وإحتلت المدينة بقوة سلاح الأسطول الحربي الذي يضم 17 سفينة و 600 جندي[2].

و اثر إحتلال صفاقس إتجه بعض الأعيان من البدو يتقدمهم الحاج صالح بن خليفة نحو قابس لتنظيم المقاومة بهذه المدينة أما ضابط المدفعية و رئيس لجنة الدفاع عن المدينة فقد توجه الى طرابلس[3].

---

[1]- الشيباني بن بلغيث: الجيش التونسي في عهد صادق باي تق: د. عبد الجليل التميمي, منشورات مؤسسة تميمي للبحث العلمي و المعلومات, زغوات صفاقس, نوفمبر 1955, ص 119.

[2]- علي المحجوبي: المرجع السابق, ص49.

[3]- عبد الجليل التميمي: المرجع السابق, ص 219.

ب- المقاومة في قابس و قفصة:

أعدت قابس أيضا نفسها في الفترة ذاتها لمقاومة الأسطول الفرنسي المتوقع نزوله بميناء المدينة, و فعلا في 21 جويلية رست بالميناء باخرة حربية فرنسية , لذلك إجتمع في بيت خليفة المنزل بحضور القاضي و المفتي بالمكان و هو ما يشير للدعم الديني للمقاومة و خبر وصول القوات العثمانية إلى طرابلس شجعهم كثيرا حيث أنهم كانوا يتوقعون مساندتها لهم و أصبح المنزل مركز المقاومة بعد أن قدم إليه ممثلو قرى قابس[1], و في 24 جويلية 1881م وصل الأسطول الفرنسي حيث بدأ في قصف المنزل, وإستقبل أعيان جارة في مدخل القرية جنود العدو الذين إنتصبوا ببرج هذه البلدة ليطلقوا النار على الثوار المتجمعين بالمنزل و رغم ذلك تمكن رجال المقاومة من إكتساح بطحاء السوق بجارة حيث دارت معركة بينهم و بين الجنود الفرنسيين إنتهت بعودة الفرنسيين إلى معسكرهم الكائن في الشط[2].

إلا أن قوات الاحتلال أعادت الكرة في 26 جويلية بقيادة الكولونيل "جامي" Jamais و تمكنت من إحتلال جارة, ولم يحد ذلك من عزيمة المقاومة التي تواصلت في بقية قرى الواجة مكبدة العدو خسائر في العتاد و الأرواح, وصمد الثوار لمدة تزيد عن أربعة أشهر واصلوا فيها مناوشة سكان جارة الخاضعين للعدو و كذلك القوات الفرنسية التي لم تتمكن من السيطرة الفعلية و التامة على هذه المنطقة في نهاية شهر نوفمبر 1881م[3].

وكان الثوار من أهل الأعراض قد وضعوا حريمهم و أثقالهم في جبال المنطقة و بقوا يدافعون على القرى و المدن حتى اذا ما غلبوا سهل عليهم الانسحاب و التوجه حيث يريدون و قد إتفقوا مع قبيلة ورغمة, إذا ما صعبت عليهم المقاومة بأن يتجهوا الى مضاربها ليكونوا جميعا قريبين من طرابلس أما قفصة فقد إتفق أهلها من مدنيين و جنود على ضرورة

---

[1]- عبد الجليل التميمي: المصدر السابق, ص 220.

[2]- علي المحجوبي: المرجع السابق, ص50.

[3]- عبد الجليل التميمي: المصدر السابق, ص 220.

المقاومة و وضعوا نظاما للشرطة و كان للجنود دورهم و خاصة الحنفية و من أشهر الضباط المشاركين الصاغ عثمان و الملازم محمد بن أحمد الشاوش إسماعيل بن محمد, و شارك أيضا المفتي و القاضي و الأعيان إلا أنهم لم يستطيعوا التغلب على ضباط البرج الذي بقي مواليا للدولة و لم يقدم لهم أية مساعدة رغم إتهامهم له بالتنصر والإتفاق مع الفرنسيين لدخول المدينة بيد أن حشود القوات الفرنسية القادمة من الجزائر قللت من صلابة موقف القبائل و الجنود في الدفاع عن المدينة لذلك لم تكن مشاركة المدينة مشاركة فعالة[1].

3-المقاومة في الساحل:

شملت المقاومة قبائل جلاص و الهمامة و سكان قرى الساحل الذين هبوا في غمرة الحماس لمقاومة قوات الاحتلال بعد أن إنظم اليهم عدد كبير من الجنود النظاميين و قد نشط هؤلاء الجنود أربعة مراكز للمقاومة بالقلعة الكبرى و جمال و بنان و قصور المتاق يقودها الساسي سويلم و الحاج علي بن خديجة و سعد بن حسين القم و ولد البحر[2]،نظرا لعدم المشاركة الفعالة من بعض المدن في الساحل فإن المعارك كانت محدودة بالمنطقة، ما دار منها كان في أطراف الساحل حول القلعة الصغرى, و قد إجتمع عسكر الساحل و القبائل ليرسلوا إلى المحلة التونسية بأن تكون معهم يد واحدة على الفرنسيين و إن لم يوافق أفراد المحلة سيهجم عليها مثل المحلة الفرنسية[3] وقد تجمع جنود الساحل مع فرسان القبائل حول القلعة الصغرى لمنع القوات الفرنسية من الدخول للساحل, و دارت معارك عنيفة أشهرها معركة وادي "لايا" التي إستشهد فيها علي بن عمارة و محمد الهذيلي زعماء المقاومة مما جعل الثوار ينسحبون تحت ضغط القوات الفرنسية[4]

---

[1]- عبد الجليل التميمي: المصدر السابق, ص 220.

2- نفسه، ص 220.

[3]- علي المحجوبي: المرجع السابق, ص 50.

[4]- عبد الجليل التميمي: المصدر السابق, ص 221.

المبحث الثالث: بوادر العمل السياسي في تونس:

عندما سكتت لغة السلاح بسبب الوهن الذي أصاب المقاومة التونسية, أصبحت الشرطة والجيوش الفرنسية مهيمنة على كامل تونس، فأصبحت النخبة التونسية المثقفة الرافضة للاستعمار الفرنسي تمارس نضال سياسي بوسائل سلمية، حيث أن نظام الحماية الفرنسي بتونس نتجت عنها تناقضات سياسية واجتماعية واقتصادية تسببت للتونسيين الريفيين خاصة بالأضرار.

ان الحماية الفرنسية و نظامها جعل التونسيين يستوعبون أنهم شعب واحد, يد واحدة, ينتمون الى وطن واحد, وما ان تخلى عنهم الباي فقاموا ضد الاستعمار, و شملت هذه المقاومة تقريبا كل البلاد التونسية، وشاركت فيها مختلف القبائل التونسية , ناسية أحقادها و خلافاتها الجانبية[1]

ففي 23 ديسمبر 1905م تأسست جمعية قدماء تلامذة الصادقية برئاسة خير الله بن مصطفى حيث تهدف هذه الجمعية الى تغيير وعي الشعب التونسي و التوجه به نحو التقدم, و قد صرح علي باشا حامبه قائلا لبلوغ ذلك :" علينا أولا أن نجتهد للحفاظ على هذا التفكير التجديدي الذي كان المعهد الصادقي مهدا له و تنميته لدى رفاقنا ثم نشره بين عامة الشعب" , و دعا رجلان من مؤسسي هذه الحركة محمد بيرم[2] و محمد السنوسي الشيخ محمد عبده[3] لزيارة تونس و بدعوتهما زار محمد عبده تونس مرتين و استقبله الشعب التونسي استقبالا

---

[1]– أحمد القصاب: تاريخ تونس (1881-1956), تج الساحلي, الشركة التونسية للنشر و التوزيع , تونس 1986, ص 476

[2]– 23 مارس 1893 و شهرته بيرم التونسي شاعر مصري ذو أصول تونسية و يعد من أشهر شعراء العامية المصرية و لد الشاعر بيرم التونسي لعائلة تونسية, كانت تعيش في مدينة الاسكندرية بحي السيالة , فكتب عدة أغاني و دخل مجلة الصحافة حيث أصدر صحيفة المسلة.

[3]– نشأ في قرية محلة نصر احدى قرى مديرية البحيرة بالريف المصري انضم الى صفوف المعارضة للمطالبة بالحريات الدستورية و كان ذلك في عهد الحزيوي اسماعيل ومن أهم مؤلفاته: رسالة التوحيد, شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني, نهج البلاغة.

ممتازا حيث لاحظ الشيخ التقارب بين مبادئ الحركتين الاصلاحيتين التونسية والمصرية تفعيل الحركة الاصلاحية في تونس[1]

و لكنه لم يشارك في تأسيسها, و مع بداية تبلور فكرة العمل السياسي التنظيمي لدى الشباب التونسي تأسست أول حركة سياسية منظمة لمقاومة الاستعمار في تونس بقيادة **علي باشا** و **عبد العزيز الثعالبي** و **محمد باشا** في تونس سنة 1907م تحت اسم حركة تونس الفتاة (1907–1912م) لعبت دورا بارزا و تلقت من الشعب تأييد قوي، وفي سنة 1920 قام الحزب الدستوري الحر الذي كان ينادي بنظام دستوري لتونس و تأليف حكومة وطنية, و في 1929م عاد الحزب الدستوري الحر يكرر مطالبا النضال بطرق سلمية, و بعد المؤتمر الأفخاريستي الذي عقد في 1929م بسبب مرور نصف قرن على الاحتلال الفرنسي لتونس , قام هذا الحزب بشن حملة على هذا المؤتمر الذي كان الهدف منه الاستعمار, حيث قامت صراعات على قيادة الحزب أدت الى تكتل مجموعة من جريدة العمل مع بعضها البعض بقيادة الماطري و الطاهر صفر و بدأت بينهم اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري و سموا أنفسهم (الحزب الحر الدستوري الجديد)[2].

و قد أثارت السياسة الاستعمارية في تونس موجة غضب, فعم هذا الغضب كافة المجتمع التونسي, ففي نهاية القرن 19 عمت اضرابات واسعة تكمن في النتائج السياسية الاستعمارية و نمو الشعور القومي التونسي , فبدأت تظهر التنظيمات السياسية المختلفة و في عام 1905م تم تأسيس أولى حلقات التنظيمات السياسية التونسية, حيث قام عدد من الطلبة التونسيين الذين كانوا قد أنهوا دراستهم خارج البلاد و عادوا اليها بتأسيس(جماعة الحضارة) حيث أن هذه الجماعة كانت تطالب بتقوية علاقات و روابط تونس, مع الجماعة الاسلامية و من جهة أخرى تنادي بتطبيق الدستور التونسي ومن أبرز زعمائها بوشوشة[3]صاحب جريدة

[1]– أحمد القصاب: المصدر نفسه، ص 486.

[2]– الطاهر عبد الله: المصدر السابق, ص 57

[3]– أحمد اسماعيل راشد: المرجع السابق, ص 98

الحضارة، وعبد العزيز الثعالبي الذي لعب دورا رئيسيا في تاريخ تونس السياسي بعد الحرب العالمية الأولى, "بشير صفوان" رائد النهضة الوطنية الثقافية في تونس[1]

أ – حركة تونس الفتاة:

و من خلال المعارك الضاربة على الصعيد الثقافي و الاجتماعي و الاقتصادي و العملي, بدأ الوعي لدى الشباب التونسي يتجه الى العمل السياسي التنظيمي, و أخذت هذه الفكرة تتبلور في أذهان المثقفين التونسيين , و في سنة 1907م بالضبط تأسست أول حركة سياسية منظمة لمقاومة الاستعمار في تونس بقيادة علي باشا حانيه [2]والشيخ عبد العزيز الثعالبي [3]و محمد باشا حانيه, و قد تأثرت هذه الحركة في نظامها و أهدافها بحركة "تركيا الفتاة" و قد لعبت هذه الحركة دورا قويا و بارزا في الفترة الواقعة بين 1907-1912, و قد كانت تتمتع بتأييد شعبي قوي , و ساهمت بشكا فعال في دفع طريق النضال الى الأمام, و بدأت في محاولة تنظيم الجماهير في اطار الحزب و خرجت بذلك من الاطار الذي أراد الفرنسيون أن تكون عليه و هو مجموعة من المثقفين, تكون أداة في يدهم لكي تكون عاملا مساعدا في نشر الحضور الأوروبي, لكي يحل محل الحضور العربي, لكن التجربة التي كانت لهؤلاء مع الفرنسيين, جعلت منهم وطنيين مرتبطين بشعبهم و أمتهم, و كانت هذه أول ضربة توجه للاستعمار الفرنسي من طرف التونسيين المثقفين بالفرنسية و من شباب تونس الذي أرادوه

---

[1]– أحمد إسماعيل راشد: المرجع السابق، ص 57.

[2]– ولد بتونس العاصمة من أصل تركي درس بالمعهد الصادقي ثم عين متصرفا فيه كان عضوا بالخلدونية, و يعتبر المؤسس الأصلي للمدرسة الصادقية أسس سنة 1907, جريدة التونسي, و جريدة الاتحاد الاسلامي 1911 كان من قادة حركة الشباب التونسي : أنظر الصادق الزمرلي: أعلام تونسيون, ص– ص 141–158

[3]– هو عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي, الزعيم السياسي و الخطيب و الكاتب , المفكر و المؤرخ تعود أصوله من أسرة جزائرية هاجرت الى تونس بعد الاحتلال ولد بتونس وفي 1907 عمل في حزب تونس الفتاة, وكتب في جريدة المبشر تعرض للنفي و أودع للسجن, أسس مع رفاقه الحزب الدستوري الحر سنة 1920 و أسند اليه رئاسته , توفي 1944م و من مؤلفاته تونس الشهيدة, مسألة المنبوذين..., أنظر محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين ص -213 221

أن يكون أداة هدم لحضارة البلاد و مستقبلها المرتبط أشد الارتباط بوحدة الأمة العربية في المشرق و المغرب[1].

و أول عمل قامت به تونس الفتاة هو انشاء جريدة بالفرنسية سميت بجريدة "التونسي", و أعلنت برنامجها السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي, و بعد انشاء هذه الجريدة و الاعلان عن البرنامج انضم اليها أغلب الشباب[2]

و ساندها الشعب التونسي في ذلك و تضامن معها, و بذلك تم قيد الخلافات على الصعيد الثقافي بين المثقفين ثقافة عربية و المثقفين ثقافة فرنسية , و كان أبرز وجوه هذا التضامن هو انضمام الشيخ عبد العزيز الثعالبي للعمل مع علي باشا حانبه في حركة تونس الفتاة.

وعندما لاحظ الاستعماريون الذين كانوا يتبعون حركة الشباب التونسي خطوة بخطوة أن الحركة ابتعدت عن روح مؤتمر مرسيليا الاستعماري و أهدافه, أحسوا بالخيبة, و دفعتهم خيبتهم الى المحاولة من جديد للانحراف بالشباب التونسي فكان هذا الحزب مشابه بشكل كبير للحزب الوطني المصري الذي كان قد أسسه مصطفى كمال, فقد كان الحزب ينادي بمقاومة الاستعمار الفرنسي و الاستقلال الوطني تحت ظل الدولة العثمانية, و ترجع مناسبة الحزب الى سياسة الحماية نفسها, و ذلك حين قررت السلطات الفرنسية تجنيس اليهود في تونس[3]

و قد لعب حزب تونس الفتاة دورا فعالا, عندما احتلت ايطاليا ليبيا, فقد جعلت تونس ممر للجنود المتطوعين الى ليبيا الذين قدموا من أوروبا لمساعدة الشعب الليبي في نضاله ضد المحتلين الايطاليين, و في عام 1911م , قام حزب تونس الفتاة بحملة سياسية واسعة ضد الاعتداء الايطالي على ليبيا , و في 1912م طالب العمال التونسيون شركة الترام بمساواة

[1]– طاهر عبدالله: المصدر السابق، ص 39.

[2]– نفسه، ص 40.

[3]– نفسه، ص ص 41–42.

أجورهم مع العمال الأوروبيين، فلما رفضت الشركة طلباتهم قاطع التونسيون الترام وعندما تأزم الوضع أعلنت السلطات الاستعمارية حصار تونس و أغلقت الصحف الوطنية, و أوقفت نشاط حزب تونس الفتاة و ألقت القبض على زعمائها فأبعد **علي باشا** الى اسطنبول أما **عبد العزيز الثعالبي** أبعد الى باريس[1].

و في عام1913 عاد الثعالبي الى تونس واستأنف نشاطه السياسي فيها أما علي باشا فنقل نشاطه الى المهجر حيث يقيم في المنفى[2].

فاتخذت هذه الحركة على عاتقها توحيد المقاومة ضد الوجود الفرنسي لكن السلطات الفرنسية التي كانت تراقب كل التحركات حالت دون القيام بأي عمل جاد يمكن أن يشكل خطرا على الجنود الفرنسيين حتى أن نشبت الحرب العالمية الأولى , سارعت الى اخماد الفتن التي اجتاحت جنود البلاد التونسية.

اذن لقد كانت بحق العوامل السالفة الذكر بمثابة التربة الخصبة التي نبتت و نمت فيها بذرة الحركة الوطنية التونسية على أسس صحيحة و متينة حيث بدأ الوعي لدى الشباب التونسي يتجه الى العمل السياسي و التنظيمي كما تمكنت جماعة الشباب التونسي من عرض برنامجها في باريس , و كانت النخبة الاستعمارية موجودة ضمن الثلاثمائة منخرط, و ان تمكن الشباب التونسي من ابلاغ صوتهم و بالخصوص فرض أنفسهم في مؤتمر باريس, ليعد تتويجا لحركتهم , كل هذا جعل الحركة تعود الى جذورها الشعبية التي اتخذت في هذا الوقت مظهرا اسلاميا كرد فعل مقاوم و عنيد للاحتلال الفرنسي الذي أراد أن يعمل على انحلال و تذويب الشخصية الوطنية التونسية ذات المظهر الاسلامي[3].

ب-الحرب الطرابلسية:

[1]- أحمد اسماعيل راشد: المرجع السابق, ص 100

[2]- المرجع نفسه، ص ص100-101

[3]- يوسف مناصرية: الحزب الحرالدستوري التونسي(1919-1934)، تع محمد مزالي والبشير بن سلامة، الشركة التونسية للتوزيع, الجزائر 1985, ص 121

في سنة 1911م هاجم الاستعمار الايطالي أرض طرابلس العربية فهب الشعب العربي في تونس لمناصرة اخوانه بالمال و الرجال, و كانت حركة تونس الفتاة بقيادة علي باشا حانبه و الثعالبي, و قد مست هذه الحرب بأحداثها الدامية الشعب العربي في تونس مباشرة فهب للدفاع عن اخوانه في طرابلس , فتكونت حركة دعم و مساندة في جمع التبرعات, و أسسوا هلال أحمر لحمل المؤن و الأدوية و الى جانب هذا أصدرت الحركة الوطنية في تونس جريدة **الاتحاد الاسلامي**[1] و أسندت رئاستها الى الزعيم عبد العزيز الثعالبي , و قد شارك الشعراء و الكتاب و الأدباء و أطلقوا صيحات مدوية استنكارا للاعتداء على طرابلس هذا بالنسبة للصعيد السياسي أما على الصعيد الشعبي, فقد كان لموقف الشعب[2]العربي في تونس، وخاصة منطقة الجنوب التونسي مشاركة فعالة اذ حملت أغلب القبائل القاطنة بالجنوب من حوامد و محاميد و همامة, السلاح و التحقوا بصفوف المجاهدين بطرابلس الذين تربط بينهم روابط القربى, وقد تجلى هذا المظهر الرائع في وحدة الشعبين بوحدة الجهاد و الكفاح المشترك ضد الاستعمار الايطالي الذي اتخذ من أرض طرابلس هدفا لحملته الصليبية الاستعمارية

والى جانب مشاركة القبائل التونسية في الجهاد وحمل السلاح قامت في تونس معارك طاحنة بين الايطاليين من جهة والعرب التونسيين من جهة ثانية و كانت آخر معركة هي ما تسمى بمعركة الجلاز[3]

ج-انتفاضة الجلاز:

هي مقبرة اسلامية في المدخل الجنوبي للعاصمة التونسية، وهذه المقبرة لها مكانة خاصة عند التونسيين نظرا لاحتوائها على جيل التوبة المعروف بجيل سيدي أبي الحسن

---

[1]- أصدرها علي باشا و قد ظهر العدد الأول في 19 أكتوبر 1911م سخرت جهودها لخدمة مبادئ الجامعة الاسلامية بدعوتها للمسلمين للالتفاف حول الدولة العلية كما ساهمت في حملة الدفاع عن ليبيا و قد لاقت استحسانا واسعا و انتشارا.

[2]- الطاهر عبد الله : المصدر السابق, ص 44

[3]- نفسه، ص ص 45-46

الصوفي المشهور صاحب الطريقة الشهيرة منذ أكثر من ستة قرون, فاتخذت البلدية من اقتطاع بعض المواطنين للحجارة من جيل التوبة ذريعة لتقديم طلب للمحكمة العقارية في 26 سبتمبر 1911م لتسجيل المقبرة فحصلت على اذن بذلك و عين يوم 7 نوفمبر 1911م تاريخا للقيام بعملية المسح و التسجيل فشاع هذا الخبر في النار و ثار المواطنين خاصة و أن عملية التسجيل كانت تعني عند الطبقات الشعبية اضفاء صبغة الجنسية الفرنسية على الأرض التي يصبح النظر في قضاياها من مشمولات المحاكم الفرنسية, فتوالت الاحتجاجات و ازداد الغصب الشعبي.

و يعد السبب الحقيق لانتفاضة الجلاز الى رغبة الجماهير في الانعتاق و التحرر من حكم المستعمر الدخيل, فهذه الانتفاضة في واقع أمرها حلقة من حلقات النضال الشعبي, كما أن هذه الانتفاضة أدت الى تمسك الشعب بعروبته و استعداده للدفاع عن حقوقه, كما أظهرت وحدة الشعب العربي[1]

د- حادثة مقاطعة الترام:

وتعد من أبرز هذه الأحداث، وكان حقد الشعب على شركة الترام كبيرا بسبب سلوكها العنصري البغيض, فقد كانت الإستخدم الا الأجانب وحتى القلة من التونسيين الذين تستخدمهم كانوا يلاقون سوء المعاملة من رؤسائهم زيادة على أجورهم المنخفضة كثيرا بالنسبة للأجانب و انعدام فرص الترقية ، كان بعض سائقي الترام يعتمدون السرعة الكبيرة في الأحياء قصد اقلاق المارة وادخال الخوف في نفوسهم ,وقد أدت هذه السرعة الى سحق بعض التونسيين وقد بلغ غضب الشعب ذروته اثر حادثة من هذا القبل وراح ضحيتها طفل تونسي مما أدى الى مقاطعة الركوب في عربات الشركة مقاطعة تامة, وطال أمد المقاطعة فأصبحت الشركة مهددة بالافلاس, مما دفع بالسلطات الاستعمارية الى التدخل لوضع حد للأزمة باللين أوبالارهاب, فاتفق قادة الحركة على التدخل لانهاء المقاطعة مقابل مطالب

[1]- شارل أندري جوليان: أفريقيا الشمالية تسيير القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية, تر المنجي سليم و آخرون, الدار التونسية , الجزائر 1976, ص 89.

تتعهد الشركة بقبولها, وشكلوا لجنة لهذا الغرض ضمت كل من علي باشا حانبه , محمد نعمان, أحمد الصافي, الشاذلي درغوث, محمد العروي[1] , ومجمل مطالبها:

- طرد العمال الايطاليين.
- مساواة كافة العمال مساواة تامة دون تمييز.
- تخفيض السرعة في الأحياء العربية.
- استعمال العربية الى جانب الفرنسية في كتابة العناوين و المحطات و الارشادات .
- الزام عمال الشركة باحترام الركاب من التونسيين
- طرد كل من يتسبب في قتل أي انسان من سائقي الشركة.

كما أن السلطات الاستعمارية تحركت اذ رأت أن زمام الأمور يكاد يفلت من يدها فتم اعتقال علي باشا وعبد العزيز الثعالبي والشاذلي درغوث وكانت أحكام النفي قد صدرت في حق علي باشا والتحاق الثعالبي الى الجزائر ثم مصر[2] واستمرت الأحداث والشعب يعاني من كيد السلطات الاستعمارية, وكان رد الفعل الشعبي عنيفا مما أدى الى الثورة, والواقع أن الشعب عانى كثيرا من الويلات على يد الأجانب وخاصة المعمرين ومن الأحداث: واقعة فضيعة وحادثة المرسى[3].

وكانت هذه الأحداث على قسوتها سببا في التحام التونسيين و تكتل العمال و الفلاحين, و كان شعورهم العام بالاضطهاد و الظلم المسلط على رؤوسهم من طرف الاستعماريين مبعثا للتضامن و الثورة حين تواتيهم الفرصة .

[1]- الطاهر عبد الله: المصدر السابق, ص 49.

[2]- نفسه: ص ص50-51.

[3]- نفسه: ص51.

وكان الاستعمار يدرك مدى خطر هذه التجمعات الشعبية فعمل على محاربتها كما سعى دوما الى فرض سيطرته على كل تجمع سياسي ومحاربة كل حركة سياسية وعمالية متنقلة في مهدها, فكان لابد من التصادم بين الحركات الاستقلالية و المستعمرين[1].

المبحث الرابع: الحزب الحر الدستوري التونسي(1920-1934):

تأسيس الحزب: لقد أدت التحولات الناجمة عن الحرب العالمية الأولى الى انتعاش روح الوطنية , و خاصة بعد انتصار الحلفاء ساهمت في ارساء دعائم الحركة الوطنية من أبرزها اعتراف الرئيس الأمريكي ولسن في جانفي1918م بحق الشعوب الخاضعة للهيمنة الأجنبية في تقرير مصيرها و بالرغم من أن هذا المبدأ لا يشمل الا الشعوب الأوروبية التي تعرضت للهيمنة الألمانية و النمساوية المجرية, فان الزعماء الوطنيين لم يترددوا في توصيف مثل هذا المبدأ لصالح القضية التونسية[2].

الثورة البلشفية, و مساندة حركات التحرر بالمستعمرات , كان لانتصار الثورة البلشفية أثر بالغ لدى بعض الزعماء الوطنيين خاصة بع أن تم الاعلان عن قيام الأممية الشيوعية الثالثة (موسكو مارس 1919) و ايلائها أهمية لحركات التحرر الوطني بالمستعمرات, و كذلك ما حدث في تركيا و هو ارتباط النخبة المثقفة بسياسة الجامعة الاسلامية التي سلكها السلطان "عبد الحميد الثاني" [3] وبجمعية الاتحاد و الترقي التي ساندت نشاط الوطنيين في المهجر طوال الحرب العالمية الأولى, و كذلك مبادرات الزعيم المصري " سعيد زغلول" من خلال تأليفه وفد من حزب الأمة للتعبير عن مطالب مصر, أمام مؤتمر الصلح بباريس, و طرح قضية الاستقلال كان لها تأثيرا كبير على زعماء الحركة الوطنية أمثال: عبد العزيز

[1]– حسن حسني عبد الوهاب: تاريخ تونس, تق و تح: حمادي الساحلي, دار الكتب العربية الشرقية, تونس ,ص 165

[2]– خليفة الشاطر و آخرون: تونس عبر التاريخ , الحركة الوطنية و دول الاستقلال , ج 3, مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعية, تونس, 2005 ص 84

[3]– خليفة المسلمين الثاني بعد المائة و السلطان الرابع و الثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية, و السادس و العشرون من سلاطين آل عثمان الذين جمعوا بين الخلافة و السلطنة و آخر من امتلك سلطة فعلية منهم توفي في 10 فيفري 1918

الثعالبي, و كذلك منح ايطاليا لطرابلس تاريخ جوان 1919 ميثاقا ينص على انشاء مجلس نواب منتخب (نائب على كل 20 ألف ساكن) من قبل المواطنين الطرابلسيين على النشاط الوطني بتونس[1]

واعتبر القادة الوطنيون هذا الميثاق بادرة نحو تحقيق الاستقلال الداخلي لطرابلس, كذلك تعاطف السيار مع بعض المطالب الوطنية حيث تمكن زعماء حركة الشباب التونسي بفعل علاقتهم بالأوساط اليسارية الفرنسية (النائب الشيوعي أندري بيرتون[2] André Berton و مرسال كاشانMercel Cachinو النائب الاشتراكي جون لينغيJean Longuet) من طرح قضايا الحريات العامة و العدالة و حق التونسيين في مشاركة نظام الحماية وتسيير شؤون بالدهم الا أن هزيمة الحزب الاشتراكي في الانتخابات التشريعية الفرنسية أكتوبر 1919 حدت من اندفاع الوطنيين ورجحت الكفة لصالح تيار الاعتدال واتباع سياسة التعاون, هذا على المستوى الدولي أما على المستوى الداخلي فلقد كان من نتائج مشاركة البلاد التونسية الى جانب الدولة الفرنسية في مجهودها الحربي حيث فقدت رصيدا بشريا هاما أثر سلبيا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى على سوق الشغل الفلاحي بفعل نقص اليد العاملة الشئ الذي دفع السلطات الاستعمارية الى تشغيل سجناء الحق العام لسد الفراغ الحاصل و هو ما أحدث موجة غضب لدى الأهالي و النخب المثقفة[3].

[1]– خليفة الشاطر و آخرون: المرجع نفسه, ص 87

[2]– أندري بيرتون: كاتب وروائي وشاعر وفيلسوف فرنسي ولد في 19 فيفري 1896 في مدينة تينشيبراياقليم أورن الرنسي, و توفي في باريس 28 سبتمبر 1966, يعتبر من أكبر رموز الدادا و السيريالية , ولد في عائلة متوسطة الحال في نورماندي, درس الطب والطب النفسي, وعمل أثناء الحرب العالمية الأولى في ردهة الحملة العصبية في مدينة نانت الفرنسية.

[3]– خليفة الشاطر وآخرون: المرجع السابق: ص ص87-88

وتعود بوادر نشأة الحزب التونسي مارس 1919 الى الاجتماعات العديدة التي تمت بالعاصمة والتي أكدت ضرورة سن دستور يضمن حقوق الأهالي وضم الحزب التونسي كلا من الشيخ عبد العزيز الثعالبي وأحمد الصافي وحسن القلاتي وفئة من المحامين والأطباء والصحافيين[1]

ولئن كان هذا الحزب في بدايته نخباويا ,فقد تمكن زعمائه من تجديد أشكال نضالهم وذلك من خلال ارسال مذكرة الى كل من الرئيس الأمريكي ويلسن و الى وفود مؤتمر الصلح بباريس يطالبون فيها بتطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها على البلاد التونسية, لكن الدول المجتمعة لم تهتم بمطالب التونسيين الا أن فشل الحزب في مسعاه .

قد خيب أمال الوطنيين و تطلب تغيير خطة عملهم و توجهوا الى كسب مساندة الأحزاب اليسارية الفرنسية من جديد و المراهنة على تفهمها لمطالبهم حيث أنهم رفعوا نداء الى الاشتراكيين الفرنسيين يطالبون فيها بحرية الشعب التونسي في نطاق عصبة الأمم و لتحقيق ذلك كلف الحزب التونسي أحمد السقة و عبد الحميد الثعالبي بتمثيله بباريس حيث تم ابعاد أحمد السقة الى باريس أفريل 1919م [2]ويعتبر أول مبعوث للحزب التونسي الى فرنسا و قد تمكن من الاتصال بالصحف و ببعض الأوساط اليسارية لاسيما الحزب الاشتراكي الذي اعتزم عرض القضية التونسية على مجلس النواب , و قد هيأ السقة الأرضية الى حد أن التحق به عبد العزيز الثعالبي خلال شهر جويلية1919, الذي لم يترك مجالا ينفذ منه الى الرأي العام الفرنسي الا و ولجه, فقد اختلط بمختلف التجمعات السياسية و اتصل بالزعماء الاشتراكيين و نظم الاجتماعات, و كتب في الصحف المقالات و استطاع ربط صداقات عديدة خاصة مع زعيم الاشتراكيين مرسيل كاشان الذي مكنه من عرض القضية على مجلس النواب[3]

[1]– شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق,ص 412.

[2]– خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق, ص 86.

[3]– عبد العزيز الثعالبي: تونس الشهيدة, تر و تق سامي الجندي, دار القدس لبنان, ص 16.

فأصبح بذلك الثعالبي شخصية مرموقة في باريس، وذلك من خلال تحركه في وسط الحزب الاشتراكي و هو اليسار الفرنسي الا أن هذا الأخير فشل في انتخابات 1919 فثارت عليه قيادة الحزب التونسي باعتبار أنه بهذه السلطة قد أساء لتونس ففي تلك الفترة أصدر الثعالبي كتاب "**تونس الشهيدة**"يفضح فيه فضحا كاملا و شاملا دسائس الاستعمار و اجرامه في حق شعب تونس العربي و أرسله بالبريد الى كل المسؤولين في فرنسا من وزراء و نواب و موظفين كبار و تم ايصاله الى تونس فتناقلته الأيدي سرا و علقت عليه الصحف الفرنسية و اقتطعت منه الصحافة الحرة مقاطع كثيرة و نشرتها, و نتيجة للضجة التي أحدثها الكتاب اعتقلته السلطات الفرنسية و أرجعته الى تونس مكبلا بالحديد و رمته في أحد سجونها, واتهم المستعمرين الفرنسيين الشيخ الثعالبي و رموه بالزندقة و الخروج عن تعاليم الاسلام الحنيف, و تحت الضغط الشعبي تم اخلاء سبيله , فالتف حوله الشعب و الطلائع المثقفة و دعوا الى تأسيس حركة سياسية وطنية تنظم النضال الوطني[1]

فتأسس الحزب الحر الدستوري التونسي و انتخب عبد العزيز الثعالبي (أنظر الملحق رقم) بالاجماع للحزب و أحمد الصافي أمينا عاما له و بدأ هذا الحزب في تكوين الشعب و الفروع في انحاء البلاد التونسية جميعها و بث الدعوة الوطنية في نفوس المواطنين ورص صفوفهم ليكونوا أداة الكفاح الوطني ضد الاستعمار[2]

و قد قدم الحزب في سنة 1920 مطالبه المتمثلة في مايلي:

- تشكيل جمعية تشريعية مختلطة (فرنسية و تونسية) لها صلاحيات واسعة و لاسيما في القضايا المالية .
- تأليف وزارة مسؤولة أمام المجلس.
- الفصل بين السلطات التشريعية , التنفيذية , و القضايا فصلا تاما.

[1]– اسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق, ص 364.

[2]– الطاهر عبد الله: المصدر السابق, ص 55.

- تشكيل مجالس محلية منتخبة.
- منح التونسيين حق شراء أرض الدولة.
- منح التونسيين حق شغل الوظائف حسب كفاءتهم و مساواتهم بالفرنسيين .
- المساواة بين الموظفين التونسيين و الفرنسيين في الرواتب.
- منح التونسيين حرية عقد اجتماعات, و تشكيل الأحزاب و ضمان حرية الصحافة.
- جعل التعليم اجباريا.

و يلاحظ أن هذه المطالب لا تتعرض لذكر الاستقلال بل تقرر للفرنسيين حق الاشتراك في حكم تونس[1]

في 15 مارس 1920 سافر عبد العزيز الثعالبي الى باريس و ذلك من أجل المطالبة باقامة حياة دستورية في تونس لكنه أعتقل لبضعة شهور بسبب الاضطرابات التي بدأت تنتشر اثر انتشار خبر اعتقاله في فرنسا أفرجت السلطات الفرنسية عنه و سمحت له بالعودة الى تونس, و قد حاول الحزب الدستوري الالتقاء بباي تونس أملا في أن يساعد الحزب في تحقيق أهدافه[2]

لكن الحكومة الفرنسية سعت من جانبها لايجاد الفرقة بين الطرفين, لكن الباي أبدى تعاطفا مع الحزب, و قدشجع ذلك الحزب على ارسال وفد الى فرنسا برئاسة "أحمد الصافي[3]" ليقدم مطالب الشعب التونسي للمسؤولين الفرنسيين , لكن الوفد عاد لتونس, دون أن يحقق شيئا, ومع تعدد المظاهرات المطالبة بالدستور اضطرت الحكومة الفرنسية لتغيير المقيم العام

[1]– اسماعيل ياغي: المرجع السابق, ص 365

[2]– شوقي عطاالله الجمل: المرجع السابق, ص 413

[3]– ينحدر من عائلة أصيلة بتونس العاصمة, درس اختصاص الحقوق بالعاصمة الفرنسية باريس, كان من مؤسسي الحزب الحر الدستوري التونسي, ثم تولى خطة أمين عام له, أرسل على رأس وفدين من ثلاثة وفود وجهها حزبه الى باريس ليعرض القضية التونسية على دوائر القرار الفرنسي, كتب في عدد من الصحف التونسية.

الفرنسي و عينت مكانه "لوسيان سان[1]" وهو المقيم العام رقم 10و الذي حكم البلاد من 1921-1928 حيث قام هذا الأخير بتهدئة الأحوال في تونس حيث قام ببعض الاصلاحات[2].

فقد شرع في رفع الأحكام العرفية و أدخل بعض الاصلاحات على مجلس الشورى الذي أصبح يدعى بالمجلس الكبير, وكذلك أوجد وزارة العدل وأطلق الحريات العامة, وفق مخطط استعماري, نسج خيوطه لكي يتسنى له بعد ذلك اغراق تونس بالجاليات الأوروبية الأجنبية من ايطاليين و اسبان, الى جانب الجالية الفرنسية الضخمة, و هذا لدمج تونس في فرنسا و هي خطة ذكية, لم تنخدع لها الحركة الوطنية, الا مجموعات قليلة قبلي التعاون مع هذا المقيم و أسسوا حزب سمي فيما بعد " **حزب الاصلاح**"و كان على رأسه "حسن قلاتي" و "الشاذلي قسطلي" حيث أصبح هذا الحزب عبارة عن مجموعة من المثقفين يتعاونون مع السلطات الاستعمارية ضد شعبهم, و انتهوا في نظرة خونة للأهداف و المبادئ, و بسبب ذلك قادت السلطات الاستعمارية حملة من الارهاب و القمع ضد الحركة الوطنية و قياداتها[3].

و في جويلية1920 سافر عبد العزيز الثعالبي الى المشرق قاصدا(مصر و العراق) حيث تابع أحمد الصافي و صالح فرحات سياسة الثعالبي بعد خروجه من تونس, و استمرت الاضرابات في صورة مظاهرات عنيفة, و الأمر الذي أثار الأهالي هو صدور قانون التجنيس 20 ديسمبر 1920, و قد وظف الزعماء الدستوريون صدور هذا القانون لشن حملة صحفية ضد السلطات الاستعمارية[4].

و في سنة 1924 عاد الحز الدستوري التونسي يكرر مطالبه من جديد و في نفس السنة عاد محمد علي الحامي الى تونس بعد أن أنهى دراسته في ألمانيا و بدأ في محاولة تنظيم العمال

---

[1]– ولد عام 1867م مقيم عام فرنسي في تونس، عرفت الفتة الأولى من وجوده حراكا وطنيا تمثل في نشاط الحزب الحر الدستوري وفي تعدد الصحف الوطنية تم آخيرا في ولادة الحركة النقابية التونسية.

[2]– الهادي تيمومي و آخرون: المغيبون في تاريخ تونس الإجتماعي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999، ص 671.

[3]– المرجع السابق: ص 672-673.

[4]– الهادي تيمومي و آخرون: المرجع السابق، ص 673.

على أسس نقابية و استمر في محاولته لكن لم يدع له المجال و لم يعترف بالحق النقابي للموظفين[1]

وقد أثار هذا الجمود الذي أصاب الحزب الدستوري بعد نفي زعيمه الثعالبي ثائرة نفر منه شباب الحزب الذين عادوا من فرنسا فقاموا بتأسيس جريدة "**صوت التونسي**"1928 و كان يديرها الشاذلي خير الله ابن مصطفى الذي ساعده في التحرير و في سنة 1929 حولها الى جريدة باسم العمل التونسي و كلاهما تصدر باللغة الفرنسية لأن الصحف العربية كانت ممنوعة, والتف حول الجريدة نخبة من شباب الحزب الحر الدستوري التونسي وبعض الشباب الذين أتموا دراستهم في فرنسا, قد استطاعت هذه الجريدة أن تخلق تيارا واسعا أدى الى تنشيط الحزب و اعادة الحياة الى صفوفه[2]

ومن بين الشباب الذين أسسوا هذه الجريدة "الحبيب بورقيبة" و "البحري قيقة" [3]و "محمد الماطري"[4] الذين تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية و طرق عمل أحزاب اليسار الفرنسي, و من الوقائع البارزة التي يساهم فيها انعقاد المؤتمر "الأفخارستي (ماي 1930) " حيث عزز حزب الدستور قواعده من خلال تكثيف الاجتماعات, و اصدار اللوائح و شن الحملات الصحفية ضد المؤتمر الأفخارستي و كان من نتائج ذلك تزايد عدد المنخرطين بالحزب خاصة في الأوساط الطلابية, و بمناسبة الاحتفال بخمسينية الحماية, أجرت السلطات الاستعمارية متابعات ضد هيئة تحرير "**صوت التونسي**"و اتهمتهاباثارة الحقد بين الأجناس وبذات الحماس و الأسلوب شنت نفس الجماعة حملة صحفية اثر صدور قرار دفن

---

[1]– كريم مصطفى: قضية الحقوق النقابية بتونس 1881-1952, المجلة التاريخية المغربية, العدد 3, مطبعة الاتحاد العام للشغل تونس, 1975, ص 63.

[2]– خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق, ص95.

[3]– ولد في 4 مارس 1904 في تستور , هو سياسي و محامي تونسي زاول تعليمه في الثانوي مع بورقيبة , في 1932 كان من بين مؤسسي صحيفة العمل في نسختها الفرنسية , أصبح أمين مال لأول مكتب سياسي للحزب الحر الدستوري الجديد, كان عضوا للجنة الدولية للحقوقيين, توفي في 2 سبتمبر 1995.

[4]– ولد في 1897 كانت له مراسلات عدة مع زميله الشاذلي مؤسس جمعية طلبة شمال أفريقيا للمسلمين, و اثر عودته الى تونس 1926 واصل نشاطه السياسي, انخرط لأول مرة في نشاط الحزب الحر الدستوري.

المتجنسين بالمقابر الاسلامية حيث عمل الدستوريون على تعبئة السكان, و تجاوبا مع ذلك أغلق التجار المسلمون دكاكينهم 1933م واتجهوا الى ساحة القصبة للتعبير أمام " أحمد باي" عن استيائهم للتعدي على الدين الاسلامي, و أمام نجاح الشبان قبل حزب الدستور هيئة تحرير جريدة "**العمل التونسي**" في الهيئة التنفيذية للحزب بهدف تدعيم الحزب الدستوري التونسي نفسه, و بوصول هذه العناصر الشبانية الى الهيئة التنفيذية حتى أصبح لها مطالب حديثة و التي تتمثل في مبدأ فصل السلطات, و ضرورة انشاء مجلس تشريعي و الاهتمام بنشر التعليم[1].

وبالرغم أن السلطات الاستعمارية قد حلت الحزب الدستوري واتخذت ضد أعضائه اجراءات شديدة الا أن أنجح عملية قامت بها هي محاولة الوصول الى التفريق بين العناصر الدستورية التقليدية العربية الاسلامية, و التي كان لها تاريخ في سجل الكفاح السياسي و بين العناصر الشابة ذات الثقافة الفرنسية الحديثة, و أدى هذا الى ظهور الحزب الدستوري الجديد الذي أصبح يمثل مرحلة جديدة في تطور الحركة الوطنية التونسية[2].

تعود البدايات الأولى لضهور الحزب الدستوري الجديد، إلى ذلك النشاط الدؤوب والتأثير الفعال في الأوساط الشعبية التونسية، والذي إنفردت به جماعة جريدة " العمل التونسي" منذ تأسيسها سنة 1932م , أنشئت تلك الجريدة حملة على القانون التجنيد الذي يمثل خطر يهدد الهوية التونسية العربية الإسلامية، والتي دعن إلى منع دفن المتجنسين بالجنسية الفرنسية في المقابلا الإسلامية، فكثرة المصادمات بين الجماهير الشعبية وقوات الأمن في عدد من المدن التونسية فاضطرت السلطة الفرنسية في أخر الأمر إلى تخصيص أماكن لدفن المجنسيين خارج مقابر المسلميين، فكان ذلك إنتصار كبير أحرزته الحركة الوطنية التونسية وجماعة جريدة العمل التونسي بوجه خاص , فشرع الحزب في وضع خطط ملائمة لظروف تلك المرحلة ومسايرة الشعب في وعي وطني وتعبئة واسعة و مما رأت اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري ما أحرزه هؤلاء الشباب من نجاح عقدت مؤتمرا وطنيا عاما، وهو

[1]– جلال يحي: المغرب الكبير و حركات التحرر و الاستقلال , ج 3, الدار القومية للطباعة و النشر الاسكندرية 1966, ص 108.

[2]– خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق, ص 97

مؤتمر، نهج الجبل يومي 12–13 ماي 1933م فألقى الحبيب الحبيب بورقيبة رئيس تحرير جريدة العمل التونسي خطابا شرح فيه الأسباب الداعية إلى التجمع وأهدافه، فقرر المؤتمر في نهاية أشغاله ضم أعضاء هيئة تحرير الجريدة إلى الهيئة التنفيذية [1]وهم محمود الماطري، الحبيب بورقيبة، والطاهر صفر[2]كما صادق المؤتمر في اليوم الأخير من أشغاله 13 ماي 1933م على ميثاق وطني جاء فيه أن سياسة التظاهر مع فرنسا قد فشلت فشلا ذريعا، و أن الغاية التي يرمي إليها الحزب هي تحرير الشعب التونسي ومنح البلاد قانونا في شكل دستور يحمي الشخصية التونسية ويقي سيادة الشعب، فازداد نشاط الحركة الوطنية وساد التضامن بين القادة، فقررت السلطة الفرنسية إزاء هذا وأن تتخذ تدابير صارمة لوقف تيار الحركة الوطنية، فأصدرت من جهة قرار خاص بإنشاء مقابر خاصة للمتجنسين التونسيين بتاريخ 13 ماي1933م، وأصدر المقيم العام الفرنسي قرار بحل الحزب الدستوري وتعطيل جريدة العمل[3]

وفي صيف 1933م نشبت حوادث في المنستير وهي مسقط رأس الحبيب بورقيبة وهذا بمناسبة دفن إبن موظف متجنس بالجنسية الفرنسية جرى تحت حراسة الجند فاعترض سكان المنستير على دفن الطفل الصغير، عندما أخبر المراقب المدني بسوسة بالحادثة أرسلت قوات من الجيش الفرنسي وأطلقت الرصاص على جميع المتظاهرين فقتلت أحدهم والمسمى شعبان بن صالح البحوري[4]

---

[1]– قدادرة شايب: الحزب الدستوري الجديد وحزب الشعب الجزائري (1943–1954م)، دراسة مقارنة تاريخية وفكرية، أطروحة دكتورة، قسم التاريخ، جامعة المنتوري، قسنطينة، 2008، ص ص 110–111.

[2]– من مواليد المهدية سنة 1903م وبها تلقى تعليمه الإبتدائي إلتحق بالمدرسة الصادقية ثم تابع دراسته بمعهد كارنو إلتحق بباريس وواصل دراسته العليا في كلية الآداب وكلية الحقوق في سنة 1918 إنخرط في سلك المحاماة بتونس العاصمة وساهم في تحرير جريدة الصوت التونسي وشارك في مؤتمر بعث الحزب الدستوري الجديد المنعقد بمدينة قصر الهلال وساهم في تحرير جريدة العمل وإعتقل مع الزعيم لحبيب بورقيبة إلى برج البوف في أقصى الجنوب التونسي، إفرج عنه سنة 1935م وعاد إلى نشاطه الوطني وإعتقل من جديد سنة 1938 وكان خطيبا ومحاضرا في شؤون الفكر والإقتصاد إلى أن توفي في 09 أوت 1942م، إنظر إلى، محمود بوذينة: أحداث العالم في القرن العشرين (1940 –149)، ج5، ص 90.

[3]– قدرادة شايب: المرجع السابق، ص 111.

[4]– أحمد القصاب: المصدر السابق، ص 538.

ففي هذه الأثناء رأت الجالية الفرنسية أن الإجراءات التي إتخذها مانصرون، غير كافية فطالبت بتعيين مقيم عام أشد منه حزما وإستجابة لهذه الرغبة، فعينته الحكومة الفرنسية بتاريخ 29 جويلية 1933م المقيم العام مارشال بيرطون[1] ولقد وصل هذا الأخير إلى تونس و حاول إيجاد الحلول وقام بإصلاحات تخص البلاد التونسية أهمها:

- شكل لجنة فكلفها بإعداد الإصلاحات التي قرها ضرورية.
- عين لإدارة جامع الزيتونة الشيخ الطاهر بن عاشور.
- أعاد الشيوخ الذين عزلهم "**مانصرون**" المقيم العام الأسبق إلى عمله الأساسي إلى جامع الزيتونة .
- أحدث مقابر خاصة للمتجنسيين.
- زاد أعضاء القسم التونسي في المجلس الكبير .

حيث تعتبر الفترة التي جاء فيها هذا المقيم هي بداية التصدع و كان أول سبب مباشر لهذا التصدع والإنشقاق وقد تمثل في تزعم الحبيب بورقيبة يوم 4 ديسمبر 1933م وفدا من المنستير يشكو إلى الباي القمع الذي سلط على السكان وفي يوم 9 سبتمبر 1933م قدم الحبيب بورقيبة إستقالته من الحزب[2]

وعن هذه الإستقالة يقول الحبيب بورقيبة "وأدركت عندما علمت بلائحة اللوم ضدي أي القصد من إدخالي في عضوية اللجنة التنفيذية هو وضع وثائق يشدني وإقامة العراقيل في وجهي للحيلولة دون قيامي بأي عمل حتى ولو كانت المشاركة في الوفد[3] و لقد ساعدت التدابير التي أخذها بيرطون على إظهار الخلافات التي كانت موجودة بين

---

[1]– ولد في 2 جويلية 1887م، رجل سياسي فرنسي عمل مقيم عاما بكل من تونس والمغرب وسفير لبلاده في بيونس ايرس بالأرجنتين وقد تأسس في عهده الحزب الدستوي الجديد في 2 مارس 1934م ألقي عليه القبض بعد تحرير فرنسا في 22 ديسمبر 1943، وبعد خمس سنوات في ديمبر 1948 عفت عليه المحكمة العليا، توفي في 6 نوفمبر 1983م.

[2]– محمود شاكر: التاريخ المعاصر لبلاد المغرب، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص 148.

[3]– قداردة شايب: المرجع السابق، ص 112.

زعماء الحزب الدستوري وجماعة "**العمل التونسي**" من حيث التكوين الثقافي[1]. و لم تمض سبعة أشهر حتى نشبت الخلافات بينهم وبين قيادات الحزب لعدة أسباب أهمها الصراع على قيادة الحزب فقد وجد محمود الماطري ورفاقه أن اللجنة التنفيذية للحزب بعد غياب الثعالبي وقيادات أخرى لم تعد قادرة على قيادته وإنتهزوا هذه الفرصة محاولين السيطرة على قيادة الحزب الدستوري وبرروا ذلك عندما دعا المقيم العام أعضاء اللجنة التنفيذية للحوار معهم حول إصلاحات يزعم إعطائها للحركة الوطنية، وطلب منهم أن يكون هذا الحديث سرا خشية أن يبطل عمله عندما يسمع حزب المستوطنين الفرنسيين، وطلبت اللجنة التنفيذية للحزب من أعضائه عدم إفشائها، لكن "**البحري قيقة**" عضو اللجنة التنفيذية أبلغ الشاذلي خير الله بمحوى المحادثة مع المقيم العام، وإتصل الشاذلي خير الله بمدير جريدة تونس الإشتراكية لسان الحزب الإشتراكي الفرنسي بتونس التي نشرت مضمون تلك المحادثة فإتخذت قيادة الحزب قرار بفصل "**البحري قيقة**" وإستقال معه جماعة "**جريدة العمل**" و بدأ الصراع يشتد أكثر بينهم وبين اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري، فانفصلو عنهم وسموا أنفسهم الحزب الحر الدستوري الجديد[2]

كان يضم هذا الحزب جيل الشباب المتطلع نحو التجديد والمتأثر بالحضارة العربية، الذين قرروا الإتصال بالجماهير الشعبية وإشراكهم في الحركة، وعرفوا كيف يؤطرون الطبقات الشعبية وذلك مايفسر نجاحهم السريع على حساب الجيل القديم الذين حرموا تدريجيا من مؤيديهم لأن الحزب الدستوري الحر لم يستطع أن يكسب العامة إلى صفه، كان "**الحبيب بورقيبة**" يمثل الفئة الشبابية الجديدة، وقام هؤلاء المنشقون يوم 02 مارس 1934م حيث

[1]– أحمد القصاب: المرجع السابق، ص 545.

[2]– الطاهر عبد الله: المصدر السابق، ص 59.

ألقى الحبيب بورقيبة خطاب أوضح فيه الأسباب التي أدت إلى عقد هذا المؤتمر والأهداف المرجوة منه [1]

وقد حضر هذا المؤتمر 48 عضوا من الحزب الدستوري كان من بينهم 18 عضوا من "**المنستير**" والمهدية وقصر الهلال الذين سيطروا على سير أعمال المؤتمر وكلهم ينتمون إلى منطقة الحبيب بورقيبة، إنتهى ذلك المؤتمر الذي عرف بمؤتمر البعث ببعث حزب جديد سمي الحزب الدستوري الجديد [2] وقد إتفق الجميع بالإحتفاظ على الإسم نفسه مع إضافة كلمة جديدة حتى لا تتعرض لهم سلطة الحماية وأعلنوا عن مقاطعتهم اللجنة التنفيذية وأحلوا مكانها مكتب سياسي متكون من الشباب المثقفين وعلى رأسهم محمود الماطري والحبيب بورقيبة أمينا عاما وكان هذا هو الذي بادر بتأسيس هذا الحزب الجديد الذي قاد تونس إلى الإستقلال[3]

[1]– عزالدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة مقانة تاريخية وفكرية، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة المنتوري قسنطينة، 2010، ص 175.

[2]– عبد الحميد زوزو: تاريخ الإستعمار والتحرر في إفريقيا وآسيا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص80.

[3]– شوقي عطا الله جمل: المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص 415.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: نشاطات بورقيبة السياسية والفكرية

1-الحبيب بورقيبة ونشاطه السياسي

2-الإستقلال التام

3-حكومة بورقيبة وأهم إنجازاته

المبحث الأول: الحبيب بورقيبة و نشاطه السياسي.

المطلب الأول : النشاط السياسي :

في عام 1907م انتقل بورقيبة الى تونس العاصمة الى أخويه من أجل الدراسة لأن والده غير قادر على التكفل به لفقره و تقدمه في السن , درس بالمعهد الصادقي, الذي درس به كثيرا من الشباب التونسي أمثال: علي باشا حانبه و الطاهر صفر و غيرهم, و كان أبوه في الحين الى الأخر يزوره في تونس ليقف على حقيقة دراستنا و يذكر بورقيبة نفسه أن أباه زاره في المدرسة حيث قال: "**جاء الى الصادقية ليرى ان كنت جادا في الدراسة كما كان يوصيني دائما, فقابل القائم العام في المدرسة وسأله عن بورقيبة , قال له المقيم العام: ان ابنك كثير الهرج, قالها ثلاث مرات, فسأله أبي ان كنت مجتهدا في الدراسة, فأجابه بأن مثابرتي على الدراسة لا بأس بها فقال له أبي:"اذن دعه يهرج كما شاء**" , وفي عام 1913م تحصل على الشهادة الابتدائية, وفي نفس الوقت توفيت أمه, ثم التحق بمعهد **كارنو**[1] رفقة كل من البحيري قيقة و الطاهر صفر، وهو ما أصبح يطلق عليه الثلاثي الساحلي[2].

بدأ اهتمام لحبيب بورقيبة يرنو نحو السياسة , وهو في معهد الصادقية حيث قام بأعمال سياسية في عام 1919م بمناسبة عودة الشيخ عبد العزيز الثعالبي كما شارك في عام 1922م في مظاهرة 5 أفريل للدفاع عن الفكرة الوطنية الذي كان يحلم بها, و بالدفاع عن حب الوطنية، ثم أصبح معجبا باتجاهات الحزب الدستوري الذي أسسه كل من الشيخ الثعالبي و المحامي أحمد الصافي, فأبدى بورقيبة تحمس لزعامة الحزب الحر الدستوري, و في نفس

---

[1]– هو أحد أقدم معاهد مدينة تونس, و يعود تأسيسه الى فترة الحماية بتونس و تحديدا عام 1882م تحت اسم معهد كارنو أو أو ليسي كارنو, و قد بقي يحمل نفس الاسم الى غاية 1983م ليتحول اسمه الى معهد بورقيبة النموذجي بتونس , فهو وريث للصراع بين المدارس الدينية و المدارس الجمهورية في فترة ما قبل انتصاب الحماية الفرنسية و قد وقع استعمال المعهد خلال الحرب العالمية الثانية و خرج المعهد من شبكة التعليم الفرنسي عام 1983م ليصبح تحت اشراف وزارة التربية التونسية, الا أن جزء منه بقي ملك لسطات الفرنسية و من أهم أساتذته: جان عمروش, أوليفيي ربول, محمد بن غزالة, ومن تلامذته المشهورة: ميشال علال , لوريس أزارو...

[2]– الصافي سعيدة : بورقيبة سيرة شبه محرمة, رياض الرايس للكتب و النشر, ط1, بيروت 2000, ص ص46.47

الوقت كان من المهاجمين الشرسين للشيوعيين وكذلك للنقابيين , وقد نظر الى النقابيين على أنهم يريدون بعث البلبلة, أما الطاهر الحداد فقد أعجب به كثيرا لأفكاره التحررية حول المرأة,أما **محمد علي**[1]فقد نظر اليه كشيطان جلب معه أفكارا هدامة نسجها من خلال رحلته الى اسطنبول, و برلين خاصة و أن اهتمام بورقيبة في هذه الأثناء كان منصبا بشكل كبير على الحياة السياسية الفرنسية , وكان يمجد الاشتراكيين الذين وصلوا الى فرنسا أنذاك آملا في حصوله على منحة لمواصلة الدراسة بالخارج , فتكفل به أخوه محمود و أرسله للدراسة بباريس على حسابه الخاص, كما كان بورقيبة معجبا بكل من القائد التركي **مصطفى كمال أتاتورك**, و **جون جوريس**زعيم الاشتراكية الفرنسية, كما كان بورقيبة متحمسا للعمل أكثر من الايديولوجية[2] و كان يلقب بالحيوان السياسي الأول في بلاده لأن تأخر في الاندفاع نحو السياسة فهو لم يقترب كما فعل بعض رفاقه في أوساط نجم شمال أفريقيا , التي كانت تعتبر مدرسة ممتازة لكثير من المناضلين المغاربة , و في باريس تزوج بورقيبة بأرملة فرنسية **ماتيلدا** و أنجب منها ابنه الوحيد **الحبيب الابن** و كانت تكبره نحو 12 سنة فقد كانت عالمه الأول , و في سبتمبر 1926م ذهب الى تونس في عطلة فتوفي أبوه و حضر جنازته ثم عاد الى باريس لاستئناف دراسته, ثم دخل المدرسة الحرة للعلوم السياسية و بذلك قد جمع بورقيبة بين علم النفس، الحقوق، الفلسفة...الخ[3]، وفي نفس الوقت كان يمارس بورقيبة النشاط السياسي، وفي عام 1929م انغمر في عالم السياسة بلهفة شديدة وفي وقت قصير أصبح سياسيا محنكا[4].

---

[1]– محمد علي هو محمد علي المحامي القابسي النقابي التونسي.

[2]– الحبيب بورقيبة: حياتي آرائي جهادي, نشريات كتاب الدولة للأعلام , تونس 1978م ص 43.

[3]– الصافي السعيد: المرجع السابق , ص ص48.50.

[4]– يذكر بورقيبة أن بداية عهده بالسياسة تعود الى عام 1928م عندما دعي لحضور محاضرة حول الحجاب ألقتها السيدة منشاري، وصبت غضبها على الحجاب و أراحت حجابها في حركة مشهورة أمام الحضور فأخذ الكلمة وقال لها: " ان الحجاب جزء من الشخصية التونسية" و من هنا تبدأ مسيرته السياسية , أنظر الحبيب بورقيبة المصدر السابق, ص 80.

لقد ناضل بورقيبة ضد التجنيس بشراسة، وقد جعلت منه هذه القضية الرجل المصارع و في مقدمة الفاعلين في الساحة السياسية، فبورقيبة الذي ظل متهما في بعض الأوساط من ذلك الوقت باعجابه المفرط بفرنسا سيبرز كأكثر مدافع عن الأصالة التونسية حتى بدى و كأنه وجد الفرصة ليكفر عن بعض ذنوبه، وأول خلاف لبورقيبة مع اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري كان بسبب مصاحبته وفد المنستير الذي جاء لمقابلة الباي للحسم في قضية ابن أحد المتجنسين التي تسببت في أحداث دامية حيث وجه له توبيخا لعدم التزامه بتعليمات الحزب, لكن بورقيبة رد على هذا اللوم معتبرا أن ذهابه الى القصر كان بصفته من أصيلي هذه المنطقة و بصفته محام و ليس كمتكلم أو ممثل عن الحزب[1].

وفي 12 مارس 1933م مؤتمر الحزب الأول, مؤتمر نهج الجبل , خطب فيه بورقيبة حيث دعى الى ضرورة استعمال طرق جديدة و اللجوء الى رجال جدد لمكافحة الاستعمار و في 9 سبتمبر 1933م قدم بورقيبة استقالته من اللجنة التنفيذية مقدما النصيحة لزملائه في "**جريدة العمل التونسي**" بعد استقالته مثل : **محمود الماطري**, لكنهم بعد فترة وجيزة قدموا استقالتهم فبدأ التصدع في اللجنة التنفيذية بين الجيل القديم و الجيل الجديد[2], و في 2 مارس 1934م استطاع بورقيبة عقد مؤتمر قصر هلال التاريخي و الانفصال عن اللجنة التنفيذية نهائيا مشكلا عوضها الديوان السياسي, ومنذ هذا التاريخ يظهر الحزب الدستوري التونسي الجديد برئاسة **محمود الطاهري** و كاتبه العام **لحبيب بورقيبة** و يختفي الجيل القديم نوعا ما و يظهر بقوة جيل بورقيبة , و يستمر الحزب الجديد بزعامة بورقيبة حتى تحقيق استقلال تونس في 20مارس 1956م[3].

بعد انتهاء التعاون بين الحزب الدستوري و بين جماعة العمل التونسي دعى الحبيب بورقيبة أعضاء الحزب الى عقد مؤتمر "بقصر الهلال" في 2 مارس 1934م, و قد أدار النقاش

[1]– الصافي السعيد: المرجع السابق , ص 48.

[2]– الحبيب بورقيبة : المصدر السابق , ص 91.

[3]– المصدر نفسه , ص 93.

جماعة العمل التونسي وعلى رأسهم بورقيبة الذين أحاطوا المؤتمرين علما بتطورات الأزمة, و أدانوا سياسة التعاون التي تنتهجها اللجنة التنفيذية، واقترحوا توسيع الكفاح من أجل تحرير الوطن[1].

أعلن المؤتمر الذي عقد بقصر الهلال عن حل اللجنة التنفيذية , و صادق على النظام السياسي الجديد للحزب و عين أعضاء الديوان السياسي الحديث, حيث أصبح بتونس حزبان دستوريان: الحزب الدستوري الجديد الذي انضمت اليه الغالبية والحزب الدستوري القديم الذي انطوى على نفسه[2]

و لقد بنى الحزب الجديد الميثاق الذي كان قد صادق عليه المؤتمر المنعقد في 12 ماي 1933م, كما تقرر عقد مؤتمرات دورية لتمكين قادة الحزب من اطلاع نواب القاعدة على النشاط السابق, و تحديد برنامج العمل المقبل بالاتفاق بين الجميع و في داخل الحزب يطالب كل مناضل بالامتثال الى قاعدة الانضباط المقامة على أساس الديمقراطية الداخلية, هذا و يتركب الديوان السياسي للحزب الدستوري الجديد من :

*__محمود الماطري__: رئيسا للحزب

*__محمد بورقيبة__: أمين مال

*__الحبيب بورقيبة__: أمين عام

*__البحري قيقة__: أمين مال مساعد

*__الطاهر صفر__: أمين عام مساعد[3]

و سرعان ما شرع الفريق في العمل , فعقد اجتماعات عديدة في كامل أنحاء البلاد و بذل مساعي كبيرة لاستقطاب ما أمكن من المنخرطين , ففي بضعة أشهر استطاع الحزب أن

---

[1]– شوقي عطا الله الجمل: المغرب الكبير من الفتح الاسلامي الى الوقت الحاضر , ليبيا, تونس, الجزائر, المغرب, المكتب المصري لتوزيع المطبوعات , القاهرة 2007 ص 415.

[2]– زهير الذوادي: تطور الحركة الوطنية التونسية (1929-1939) , دار التقدم للنشر و التوزيع, تونس 1982 , ص 62.

[3]– أحمد القصاب : المرجع السابق , ص ص546.547.

يكون له فروع في كل مكان تقريبا, و ينظم اجتماعات شعبية حتى أصبح بالنسبة الى السلطات الاستعمارية قوة تبعث على القلق و الانشغال[1].

لقد حاول الحاكم العام الفرنسي، على تفكيك القوة الوطنية بعد الانشقاق الذي حدث في مؤتمر قصر الهلال, و لكن الأحداث كذبت هذه التوقعات, فنشاط بورقيبة وجماعته امتد كامل البلاد, فشنوا الاضرابات , و قاطعوا السلع الفرنسية , و امتنعوا عن دفع الضرائب، و ذلك لاجبار سلطة الحماية على التفاهم مع الحزب الدستوري الجديد و تحقيق مطالبه المتمثلة بالدرجة الأولى , في وضع دستور يضمن للشعب التونسي حكمه الذاتي و يسير شؤونه بنفسه, مطالبا بفصل السلطات و حرية الاجتماع و التعبير و النشر لكل التونسيين [2] فهذا النشاط النضالي أقلق المقيم العام الفرنسي فلجأ الى استعمال القوة, فأمر بالقبض على سبعة زعماء في 03 سبتمبر 1934م, منهم الحبيب بورقيبة , كما تم تعطيل جريدة العمل , و في 05 سبتمبر 1934م حصلت اضرابات و اضطر الجيش الى اطلاق النار, كما نظمت مظاهرات بالعاصمة و توجهت وفود من المتظاهرين الى السلطة بالخصوص الى الباي محمد أمين للمطالبة بالافراج عن الموقوفين[1].

أما الحبيب بورقيبة رغم ابعاده الا أنه بقي على اتصال بحزبه و أستطاع أن يوجه رسائل الى المناضلين يطلب منهم مواصلة النضال , فعلم المقيم العام بذلك و تم عزله الى **برج لبوف**، ولكن دلك لم يمنعه من تقديم و توجيه نصائح الى الشعب والحزب، فقد حثهم على ضرورة مواصلة الضغط و عدم الاستسلام مهما كانت العراقيل والتضحيات، واستطاع الحزب الدستوري الجديد من تضييق الخناق على المقيم العام.

---

[1]– محمد الهادي شريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، تع محمد الشاوس وآخرون، ط2 دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص 122.

[2]– التليلي العجيلي: الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية(1881-1939) , منشورات كلية الأداب منوبة تونس , 1992, ص 234.

[1]– أحمد القصاب: المرجع السابق, ص 551.

وفي 1 جانفي1935م، تظاهر مناضلوا الحزب الدستوري بالجامع الأعظم بتونس مذكرين الباي بالوعد الذي قطعه في 04 سبتمبر 1934م بالمرسى بخصوص التدخل لفائدة المبعدين[1].

وأمام هذا الضغط لجأت الحكومة الفرنسية الى انتهاج سياسة جديدة في تونس فأقدمت على تعويض المقيم العام **بيروطون** بشخصية أخرى ألا وهي **جبون**، وفي شهر أفريل1936م بادر باطلاق سراح المعتقلين و أجاح الحريات العامة , فانتشر الشغب في كامل التراب التونسي، وكثرت جمعيات الكشافة، وتأسست النقابات الوطنية الحرة، وفي 23 ماي 1936م أطلق المقيم العام الجديد سراح المعتقلين الدستوريين, مصادف ذلك انتصار الجبهة الشعبية بفرنسا, و أعاد حرية الصحافة, و كلف الحبيب بورقيبة مباشرة بعد اطلاق سراحه بابلاغ المسؤولين الفرنسيين برنامج الحزب الدستوري الجديد الذي يتمثل في:

*اقامة نظام برلماني.

*اعادة تنظيم الوظيفة العمومية لفائدة التونسيين.

*اصلاح الادارة الجهوية.

*تعميم التعليم الاجباري و التدريس باللغة العربية[2].

و على اثر هذه الظروف سافر بورقيبة مرة أخرى الى باريس في أواخر فيفري 1937م لاجراء حوار مع المسؤولين الفرنسيين و تقديم المطالب التونسية, بينما قدم الى تونس في أواخر فيفري 1937م، وصادف هذا احتصار حكومة **بلومفبولييت** التي سعت الى تخفيف وطأة الاستعمار، والقيام باصلاحات في المستعمرات الفرنسية لكنها فشلت وتم الاطاحة بها في 21 أوت 1937م فتضاءلت آمال الحزب الدستوري الجديد في مواصلة الحوار مع فرنسا,

[1]– أحمد القصاب: المرجع السابق, ص 552.

[2]– المرجع نفسه، ص 553.

و في تلك الظروف رجع عبد العزيز الثعالبي من المنفى محاولا افشال النوايا الاستعمارية الهادفة الى تأجيج الخلاف بين أتباع اللجنة التنفيذية وأعضاء الحزب الدستوري الجديد, حيث سعى الى توحيد الحركة الوطنية تحت رايته، وتكونت لجنة يوم 03 أوت 1937م، لكن الحزب رفض ذلك[1].

ففي 31 أكتوبر 1937م عقد الحزب مؤتمره الثاني **بنهج التريبونال** و قد سيطر على هذا المؤتمر روح الاندفاع و الحماس لدى الشبان ومناضلي الحزب واتخذ المؤتمر قرارات.

و من بين القرارات التي اتخذها الحزب الدستوري الجديد:

- اعلان العصيان المدني
- مجابهة الاستعمار بالعنف[2]

و نتيجة لما يترتب عن خطورة القرارات وقع خلاف بين رئيس الحزبو محمود الماطري الذي رفض اللجوء الى العنف كوسيلة لتحقيق الاستقلال، وبين بورقيبة والأمين العام للحزب، فقدم الماطري استقالته من الحزب[3].

بعد اعتقال بورقيبة و زملائه الا أن بقية الدستوريين الجدد قد تمكنوا من اعادة تنظيم سري لحزبهم و قاد حركتهم **الباهي الأدغم** [4]وزملائه , فقد أسسوا خلايا سرية للحزب الدستوري انحصرت مهمتها في تدمير الجسور، وقطع أسلاك الهاتف، واغتيال الاستعماريين[5].

وبعد عودة **لحبيب تامر**[1] من فرنسا لتولي الحركة الوطنية تركزت مطالبه في اطلاق سراح المعتقلين, و مواصلة تنظيم الخلايا السرية و تقديم العرائض و قيادة المظاهرات, و باندلاع

---

[1]– أحمد القصاب : المرجع السابق , ص 558.

[2]– خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق , ص 109.

[3]– الطاهر عبد الله: المصدر السابق، ص 65.

[4]– 1913-1998 سياسي تونسي شغل منصب الوزير الأول بين 1969-1970م شهدت فترة توليه المنصب تجربة التعاضديات ذات التوجه الاشتراكي التي قادها الوزير أحمد بن صالح الرجل القوي في الحكومة, مارس ضغوطا على جامعة الدول العربية و الحكومة السودانية لمنع وفد منظمة التحرير الفلسطينية و رئيسها أحمد الشقيري من حضور مؤتمر القمة العربية في الخرطوم 1967 , الا أنه لعب دور الوسيط بين ياسر عرفات و الحكومة الأردنية ابان أحداث أيلول .

[5]- شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 102.

الحرب العالمية الثانية وانهزام فرنسا أمام ألمانيا جوان 1940م , كان لهذا الوضع الجديد انعكاساته السياسية و الاقتصادية والاجتماعية على تونس , وأصبح التونسيون في حيرة من أمرهم[2].

و في 16 ديسمبر 1942م أطلق سراح المعتقلين أما الحبيب بورقيبة فقد استقر في **قصر فيورينيتي** حيث كام محل حفاوة فائقة من طرف السلطات الايطالية[3].

وفي 16أفريل ألقى الحبيب بورقيبة خطابا في اذاعة **باري** الايطالية أعلن فيها عن موقف تونس الحيادي و في 8أفريل1943م عاد الحبيب بورقيبة الى تونس بعد أن قضى 5 سنوات في السجن فستأنف قادة الحزب نضالهم و انتشرت خلاياهم في المدن و القرى والأرياف و أنشأوا منظمة الشباب التونسي وأمرهم بورقيبة بتوزيع منشور على الشعب التونسي يدعو فيه الى الوقوف الى جانب الحلفاء[4].

بعد تشديد الخناق على الحركة الوطنية، أدى هذا الخروج بالقضية الوطنية الى المستوى العربي والعالمي من أجل كسب التأييد والعطف من أجل الحصول على الحرية والاستقلال من الاستعمار ومن هنا بدأ بورقيبة يخطط للسفر الى القاهرة و التي تأسس فيها قبل مغادرته بأربعة أيام الجامعة العربية 26 مارس 1945م[5] .

وبعد مغادرة بورقيبة تم رئاسة الحزب بقيادة صالح بن يوسف مع مجموعة من أعضاء الديوان السياسي استطاع اعادة تنظيم الحزب و ربط خلاياه ببعضها البعض و أظهر

---

[1]– ولد بتونس العاصمة 4أفريل1909م و توفي في حادث طائرة بلاهور في 22ديسمبر 1949م سياسي وطني و طبيب تونسي درس بالمدرسة الصادقية قبل أن يتحوا الى فرنسا لدراسة الطب بتولوز أولا ثم بالعاصمة الفرنسية وهناك نشط بكل من الحزب الدستوري و جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين التي تولى رئاستها 1935م و كان من مؤسسي مكتب المغرب العربي بالقاهرة 1947م تولى رئاسة الديوان السياسي السري الذي يمثل القيادة السرية للحزب الدستوري.

[2]– محمود علي عامر : المرجع السابق, ص 151

[3]– نفسه, ص 152

[4]– أحمد القصاب: المرجع السابق , ص ص595-596

[5]– شوقي عطاالله, عبد الرزاق ابراهيم: تاريخ العالم العربي الحديث و المعاصر من الفتح العثماني للعالم العربي الى الوقت الحاضر, المكتبة المصرية للمطبوعات , القاهرة 2007, ص 205

مقدرة تنظيمية كبيرة فدعى الحزب الدستوري الجديد في 22 أوت 1946م الى عقد مؤتمر سمي **بليلة القدر** الذي تم تحت رئاسة القاصي **العروسي الحراد** و قد خطى هذا المؤتمر كل القوى السياسية وأعلن رئيس المؤتمر الحكم بالاعدام على النظام الاستعماري في تونس والمغرب العربي واتخذ المؤتمر بالاجماع بالمطالبة بالاستقلال التام[1].

فردت السلطات الاستعمارية حملة من الاعتقالات على المؤتمرين، وبعد هذا النضال الداخلي اتضح أنه بحاجة ماسة الى مساندة والتي أوكلت الى الحبيب بورقيبة الذي كان متواجدا بالقاهرة للتعريف بالقضية التونسية، وبعد أن استقر بورقيبة بالقاهرة أسس مكتبا للحزب الدستوري الجديد حتى يحقق التكامل بين المناضلين في الداخل والخارج[2]، وفي سنة 1946م التحق بورقيبة وزملائه، فقاموا بنشاط دعائي مكثف في العاصمة المصرية وسائر أقطار المشرق العربي ونشروا الفصول التوضيحية بالنشريات العديدة الصادرة عن لجنة تحرير المغرب العربي[3].

[1]– مصطفى كريم: انصمام الاتحاد العام للعمال التونسيين الى الفيدرالية النقابية العالمية, المجلة التاريخية المغربية , ع1, المطبعة التونسية للشغل, تونس 1974, ص 15.

[2]– الطاهر عبد الله: المصدر السابق , ص71.

[3]– شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي الكبير , المرجع السابق , ص 423.

1- دور الحبيب بورقيبة في لجنة تحرير المغرب العربي:

وفي 2 ديسمبر 1946م وصل بورقيبة الى الولايات المتحدة الأمريكية بهدف التعريف بقضية تونس في هيئة الأمم المتحدة, و من هنا أصبح بورقيبة ناطقا رسميا و شرعيا للشعب التونسي , حيث تمكن من تعريف الرأي العام الأمريكي بالقضية التونسية و لكنه لم يستطع ادراجها في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة , فعاد بورقيبة الى القاهرة بعد شهرين قضاها في الولايات المتحدة الامريكية و بعودته الى القاهرة تكون مكتب المغرب العربي الذي انعقد في 15 الى 22 فيفري 1947م بالقاهرة , وترأسه بصفة رسمية الأمين العام للجامعة العربية **عبد الرحمان عزام**, و كان المؤتمر يهدف الى ضرورة العمل و الكفاح من أجل استقلال بلدان شمال أفريقيا الثلاث تونس , الجزائر و المغرب، وبحث سبل التنسيق لتكوين جبهة مشتركة تعمل لصالح الحركات الوطنية المغاربية، وفي الجلسة الثانية للمؤتمر يوم 16 فيفري 1947م تم انشاء مكتب المغرب العربي وأسندت رئاسته الى **عبد الكريم الخطابي**[1] و الأمانة العامة للحبيب بورقيبة , و بعد انشاء مكتب المغرب العربي قرر بورقيبة القيام بجولة أخرى في العالم العربي، شملت سوريا ولبنان والسعودية، واستطاع بورقيبة بهذه التحركات شرقا وغربا أن يكسب للقضية أعوانا في كل الدول[2].

ان القضية الفلسطينية كانت تشغل بال الساسة في كل أنحاء العالم , و وجد أنه من فير المناسب طرح القضية التونسية في نفس الوقت , الا أن علاقته بلجنة تحرير المغرب العربي ساءت نتيجة لاتصالاته من وراء اللجنة, و عمله على استكمال أعمال اللجنة لابراز ذاته و

---

[1]- زعيم مغربي نفي الى جزيرة لاريتون في المحيط الهندي منتصف 1926م, و بقي فيها حتى سنة 1947, اذ أرادت الحكومة الفرنسية جلبه الى باريس للضغط على ملك المغرب محمد الخامس فاستطاع و بمساعدة العديد من القادة المغاربة و العرب الهروب من السفينة و اللجوء و الاستقرار في مصر و كان له الفضل في مكتب المغرب العربي , أنظر : محمد علي داهش: دراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر, مكتب الكتاب الأكاديمي, عمان 2012, ص 62

[2]- رضا ميموني: دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس و الجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية الى غاية الاستقلال, شهادة ماجيستير , التاريخ الحديث و المعاصر, قسم العلوم الانسانية , باتنة , جامعة الحاج لخضر, 2012, ص ص38-40.

شخصه, مما زاد الخلاف بينه و بين لحبيب تامر من جهة و عبد الكريم و الخطابي من جهة أخرى, فلما كشف باتصالاته بالسفارة الفرنسية فصل من الأمانة العامة للجنة تحرير المغرب العربي و عينوا مكانه **عادل الفاسي** رئيس حزب الاستقلال المغربي فاتهم عبد الكريم بورقيبة بالانحراف و التواطؤ مع الفرنسيين ضد حركة التحرير المغاربية بالاضافة الى الخلافات التي كانت بينه و بين لجنة تحرير المغرب العربي و كان هناك خلاف مع صالح بن يوسف رئيس الحزب الدستوري الجديد[1].

فعاد بورقيبة الى تونس في 8 ديسمبر 1949م ليتابع بشكل أساسي مسألة الدعوة الى الاستقلال وفي12 أفريل1950م سافر الى فرنسا و صرح لجريدة **لوموند** الفرنسية بأن مطالب الفرنسيين تتلخص فيما يلي:

*تقوية السلطة التنفيذية

*تكوين حكومة تونسية

*الغاء خطة الكاتب العام للحكومة

*الغاء خطة المراقبين المدنيين

*انشاء جمعية وطنية منتخبة بالاقتراع[2].

وقد أبدى باي تونس محمد أمين تضامنه مع هذه المطالب العادلة للشعب التونسي كما تعاطفت الصحف الفرنسية المعتدلة مع هذه المطالب, كما تعاطف بعض الجهات الرسمية معها، وطلبت فرنسا من **جان مونيس** المقيم العام الفرنسي بتونس دراسة هذه المطالب وابداء رأيه فيها لكن الفرنسيين أزعجهم هذا التعاطف من الصحف الفرنسية ومن الحكومة على مطالب المواطنين , فاضطرت الحكومة الرنسية سجن **جان مونيس**[3]

[1]– شوقي عطاالله جمل, عبد الرزاق ابراهيم : المرجع السابق, ص ص277-278.

[2]– خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق, ص 123.

[3]– عاطف عيد: المرجع السابق, ص 74.

2- نشاط الحبيب بورقيبة في المشرق العربي.

في نهاية الحرب العالمية الثانية شرع بورقيبة في انتهاج سياسة جديدة لعلها ترفع بالقضية التونسية نحو التقدم، وذلك بالاتجاه نحو المشرق العربي حيث عقد هناك اجتماع لتأسيس جامعة الدول العربية في القاهرة ولابد أن تكون القضية التونسية من بين نقاط جدول أعمالها ورغم الظروف المشردة على بورقيبة في تونس الا أنه استعد لهذه المغامرة للوصول الى القاهرة[1] فواصل بورقيبة رحلته المغامرة عن طريق صفاقس و قرفنة و من قرفنة شق البحو نحو صراتة بليبيا و منها بواسطة جمل للوصول الى مصراتة فبنغازي و أخيرا وصل بورقيبة بعد رحلة شاقة وطويلة الى القاهرة [2]دامت 29 يوما من 26 مارس 1945 الى 16 أفريل1945م، وخلفه على قيادة الحزب **صالح بن يوسف** الأمين العام للحزب رفقة بقية أعضاء الديوان السياسي و هم **المنجي سليم, الهادي نويرة, علي البهلوان والدكتور سليمان بن سليمان,** و في القاهرة كان لبورقيبة عدة نشاطات سواء بمندوبي الدول العربية في الجامعة العربية أو سفراء أمريكا و فرنسا , و خاصة بالسفير العراقي الذي كان له سندا قويا, و قدم له الدعم الكبير الذي ساعده على القيام بزيارة نحو المشرق العربي كالأردن و السعودية ثم عاد الى القاهرة, و عند تأسيس المغرب العربي بالقاهرة كان عضوا فيه , كما سمحت له الظروف بأن يزور الولايات المتحدة الأمريكية لدعم التونسيين في الولايات المتحدة و أصبحت لبورقيبة شبكة واسعة من العلاقات[3].

و في هذه المرحلة بدأبورقيبة يدخل في صراع سياسي داخلي مع الديوان السياسي و وصل الصراع حتى الى عضويته داخل لجنة تحرير المغرب بالقاهرة[4].

1- alan palmer : the pinguinsdictionary of twentieth- centuryhistory (1900;1982) .newed oxford 1979. P 62

[2]- لحبيب بورقيبة : المصدر السابق, ص 184.

[3]- الحبيب تامر : هذه تونس , مطبعة الرسالة، ص 168.

[4]- الحبيب بورقيبة: المصدر السابق, ص 192.

وفي ديسمبر 1949م , قرر بورقيبة العودة الى تونس وأن يكون النضال الحقيقي في تونس والتفاهم مع الفرنسيين مباشرة، وفي أفريل1950م ذهب الى باريس لهذا الغرض لكن فرنسا بقيت مستمرة في عدم اعترافها بشرعية الحزب الدستوري منذ عام 1938م لذلك تمسكوا بالفكرة القائلة بأن الحكومة الفرنسية لا تعرف مفاوضا شرعيا سوى الباي الذي عقدت معه معاهدة الحماية[1]فحاول بورقيبة دوما في حل المشاكل بواسطة الحوار وأن لا يظل الحقد و الضغينة بين الشعبين الفرنسي والتونسي، ومن ناحية أخرى فقد كان يرغب في الحصول على مساندة الرأي العام الفرنسي والعالمي، ذلك أن رفض الحوار يحمل فرنسا قبعة الأخطار و يبرر عندئذ كل التبرير للكفاح المسلح الذي أقر بورقيبة العزم على خوضه, اذ ما رفضت فرنسا التفاهم عن طريق المفاوضات[2], ومن هذا المنطلق قرر بورقيبة السفر الى باريس فوصل في 12أفريل1950م, وفي يوم 14أفريل أدلى بكلمته في العاصمة الفرنسية بالتصريح التالي:"بعد الرحلة التي قمت بها الى كل من نيويورك والقاهرة حرصت على القدوم الى باريس لأضع فرنسا أمام مسؤوليتها، ذلك أن هذه البلاد التي تربطنا بها عدة روابط مصرة على عدم اعتبار ادارة التونسيين لتحرير بلادهم, وفي حين نرى قسما كبيرا من العالم العربي قد استرجع في الوقت الحاضر استقلاله، تبقى فرنسا الدولة الوحيدة الراغبة في ابقاء نظام الحماية الذي يكتسب صبغة استعمارية قد أكل عليها الدهر و شرب, ولقد بينت لي الجولات التي قمت بها في مختلف أرجاء البلاد التونسية, أن هذا الوضع يثير امتعاض الشعب التونسي باجماعه, أنه لا يمكننا العيش من وطن, ولقد كنا نود الوصول الى تسوية مرضية للطرفين، ولكننا لم نجد أمامنا الى حد الآن الا أناس عنيدين، وان هذا الوضع الحالي من شأنه أن يفضي لا محالة الى انتفاضات مؤسفة و أنه لمن واجبي قبل أن يحصل ذلك لفت انتباه الفرنسيين بفرنسا للأمر"[3].

---

[1]– صلاح العقاد: المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة الجزائر , تونس, المغرب الأقصى, مكتبة الأنجلو المصرية , القاهرة 1985, ص344.

[2]– أحمد القصاب: المرجع السابق, ص 611.

[3]-Bourguiba habib : la Tunisie et la France vigntcinqans de lute pour unecoopérations – ed Julliard jaris, 1954, p p 226-229

و في 15أفريل1950م سلم لوكالة "**فرانس براس**" النقاط التي تلخص أهم المطالب التونسية أهمها:

- بعث السلطة التونسية التنفيذية.
- تشكيل حكومة تونسية
- الغاء الكتابة العامة للحكومة التونسية
- الغاء المراقبين المدنيين
- انشاء بلديات منتخبة مع تمثيل المصالح الفرنسية
- احداث مجلس وطني تأسيسي منتخب بالاقتراع العام

فرفض الفرنسيون هذه المطالب وعملوا على ابقاء الحزب الجديد خارج القانون وتمت متابعة قادته و رؤساء الشعب الدستوري وتهموهم بالتآمر على أمن الدولة حيث رد بورقيبة قائلا :" لقد طويت صفحة من صفحات تاريخ التونسيين ..."[1]

[1]– أحمد القصاب: المصدر السابق, ص ص612-614.

المطلب الثاني: الحبيب بورقيبة و التجاوب مع مقترحات رئيس الوزراء الفرنسي "منداس فرنس"

بمجيء منداس فرنس الى تونس في 31 جويلية 1945م, عارضا على الأمين باي نظام حكم ذاتي داخلي يسمح بتشكيل حكومة تونسية و تمثل تجاوب بورقيبة في تصريحه التالي:" الاستقلال يظل الطموح الأكبر للشعب التونسي، وتشكل مقترحات منداس فرنس مرحلة حاسمة" هذا النهج الجديد لبورقيبة كان عاملا بنصيحة الملك عبد العزيز بن سعود الذي كان قد أوصاه عند اقامته بالمملكة العربية السعودية عام 1948م باعتماد سياسة المراجل و تجنب بورقيبة المواجهة وحماية الطاقات المناضلة[1].

لكن التونسيين لم يتفهموا هذا النهج السياسي الذي يكرس زعامة بورقيبة فحذروا من استعمار جديد مقنع، واعتبر صالح بن يوسف الأمين العام للحزب أن الحكم الذاتي بمثابة خطوة الى الوراء مستنجدا بعروبة وقومية الشعب التونسي لينادي بحرب عارمة تسودها جميع دول المغرب العربي ضد فرنسا و بهذا يكون الصراع قداحتدم بين رئيس الحزب و الأمين العام فانتهى هذا الصراع باقصاء الأمين العام صالح بن يوسف من الحزب يوم 12 أكتوبر 1955م, لكن هذا الأخير لم يكترث لهذا القرار و ظل متمسكا بمنصبه كأمين عام خاصة و أنه تلقى تأييدا من جمال عبد الناصر في هذا الوقت مما زاد في قلق بورقيبة و رفاقه فتأزمت الأوضاع وتطورت الأحداث أكثر وفي نوفمبر 1955 عقد الحزب الجديد مؤتمر في صفاقس و انتصر فيه بورقيبة وتوسعت دائرة الصراع حتى شملت رفقائه الأوائل الذين اتفقوا على الاستقلال الا أنهم لم تكن لهم الجرئة السياسية في نظر بورقيبة فانتقدهم في خطبته[2], وبعدما وقع بورقيبة على وثيقة الاستقلال في 20 مارس 1956م و خروج صالح بن يوسف من تونس معارضا, واصل بورقيبة تألقه حيث أصبح وزيرا أولا, وشرع في

---

[1]– الطاهر بلخوجة: الحبيب بورقيبة, سيرة زعيم , شهادة على عصر, مطبعة علامات تونس, ط1, الدار الثقافة للنشر القاهرة , ص ص3-5.

[2]– الصافي سعيد: المرجع السابق, ص ص203-205.

التخطيط للانقلاب على الأمين باي في 25جويلية1957م , فنجح في الانقلاب و أصبح هذا التاريخ موعد الجمهورية و لقب بورقيبة بآخر بايات تونس[1].

المبحث الثاني: الاستقلال التام لتونس:

عاد بورقيبة الى تونس 1 جوان 1955 فاستقبلته الجموع الغفيرة بحماس فياض, أما الحزب الدستوري الجديد فكان يجني ثمار عشرين سنة من الكفاح, و كان يبدو سيد الموقف, و لكن سرعان ما مزقه انفصام كبير أحدثه أمينه العام صالح بن يوسف برفضه المعاهدات الفرنسية التونسية و الاستقلال الداخلي ولمناداته بمواصلة الكفاح جنبا الى جنب مع بلدان المغرب العربي الأخرى، ورغم أن مؤتمر الحزب الدستوري الجديد المنعقد بصفاقس يوم 15 نوفمبر 1955م قد أيد بورقيبة و سياسته الواقعية تأييدا مطلقا، فقد قامت معركة عنيفة لا هوادة فيها بين شق البورقيبيين و شق اليوسفيين[2].

و قد دفعت هذه المعركة بالحزب الدستوري الجديد بلا منازع الى أن يصلب من مواقفه ازاء فرنسا و أن يعود الى مطالبته و هذه ثابتة من الثوابت في سياسة بورقيبة و تتمثل في أنه يعتمد على تنازلات الخصم ليطالب بمزيد منها، ثم ان الظروف هي الأخرى ستساعد التونسيين فان فرنسا بخوضها حرب الجزائر الشديدة ستفضل القيام ببعض التنازلات في المغرب, و كان الوضع قد تدهور فجأة خلال صيف سنة 1955م فوعدت السلطات باستقلال بلاده[3], ثم ان الانتخابات التي جرت في سنة 1956م و التي فازت فيها أحزاب اليسار لم تزد هذه السياسة الا تأكيدا, فأغتنم التونسيون الفرصة و طالبوا بنفس الاستقلال الذي منح للمغرب و جرت مفاوضات على هذا الأساس في نهاية شهر فيفري , فافضت بسرعة الى التوقيع على بروتوكول 20 مارس 1956م الذي ينص على الغاء معاهدة 12 ماي 1881م و يعلن عن استقلال البلاد التونسية[4].

---

[1]– الطاهر بلخوجة: المرجع السابق، ص 11.

[2]– خليفة الشاطر آخرون: المرجع السابق، ص 171.

[3]– محمد الهادي الشريف: المرجع السابق, ص137.

[4]– خليفة الشاطر و آخرون: المرجع السابق, ص 171.

تمكن الحزب الدستوري الجديد من الحصول على الاستقلال سنة 1956م باعتباره الممثل الوحيد لتونس, اذ تمكن بورقيبة من التمسك بزمام قيادة الحزب, فقد جعل من نفسه الناطق الرسمي باسم الوطنية التونسية, وبما أن بورقيبة قد استطاع التحول من قائد حزب الى قائد وطن فقد سعى بورقيبة لقطع الطريق أمام صالح بن يوسف[1].

اذ سافر بورقيبة الى باريس والتقى رئيس الحكومة الفرنسية الجديدة "**غي موليه**"و اتفقا على منح الاستقلال لتونس من حيث المبدأ و أعلن في 20 مارس 1956م أن تونس مستقلة ذات سيادة تتولى شؤون الدفاع و الخارجية بنفسها مع الاحتفاظ ببعض الامتيازات لفرنسا[2].

كان بإمكان بورقيبة الاكتفاء بزعامة الحزب الدستوري مثل ما اكتفى "**عادل الفاسي**"بزعامة حزب الاستقلال في المغرب بعد الاستقلال و لكن العلاقة التي كانت تربط "**الباهي الأدغم**" و "**أحمد بن صالح** "الذين قاما باقناع الباي لكي يعهد لبورقيبة بتشكيل حكومة جديدة تحل محل حكومة الطاهر بن عماد [3]وكثيرا ما خطب بورقيبة خطابات تدعوا الى ضرورة اصلاح النظام السياسي, و قد أدى ذلك الى انتقال السلطات الفعلية الى أيدي رئيس الحكومة و أصبح الباي مجرد شخصية صورية.

و بعد شهر من الاستقلال أي في 8أفريل1956م ألقى بورقيبة خطابا أمام المجلس التأسيسي استنكر فيه مظاهر التعصب، فيما طالب المتظاهرون بتشكيل برلمان تونسي، وفي هذه الجلسة تم الاجماع على انتخاب بورقيبة كأول رئيس للحكومة التونسية[4] .

---

[1]- فيرنر روف: البورقيبية والسياسة الخارجية لتونس المستقلة , تر, الصحبي الثابت, المطبعة العصرية تونس, د.ت.ط, ص 135.

[2]- أنور محمود دزناتي: موسوعة تاريخ العالم, تاريخ العربو المسلمين منذ ظهور الاسلام حتى العصر المعاصر ,ج6, ص397

[3]- رجل دولة تونسي, عين أول رئيس للحكومة التونسية التي تشكلت في 1954م, باعلان بيار منداس للاستقلال الداخلي لتونس, شكل بنفسه حكومته الجديدة شارك فيها أعضاء من الحزب الدستوري الجديد: أنظر الى: مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية معالم, وثائق زعماء ص 134.

[4]- عاطف عيد: مرجع سابق, ص 77.

و بمرور ثلاثة أشهر فقط من الاستقلال أصدر بورقيبة مجلة تحت اسم "**الأصول الشخصية**"[1] و في هذه المجلة بدأ يصدر التشريعات التي تعيد تشكيل المجتمع التونسي وفق الرؤية الفرنسية, و هكذا بدأت تتوالى التشريعات المخالفة للإسلام منذ الأيام الأولى لحكم بورقيبة و لكن التطبيق الفعلي لتلك القوانين لم يبدأ الا بعد ستة أشهر من الاستقلال أي في أوائل سنة 1957م, حيث كان بورقيبة كرئيس حكومة يسخر وقته وخطبه الاذاعية للتوعية بأهمية القوانين الجديدة فقد

دعا في سنة 1956م الى منع الصوم على الشعب التونسي حتى في شهر رمضان , بدعوى أن الصوم يقلل الانتاج و يعيق تقدم تونس[2] , وبانتخاب بورقيبة رئيسا للجمعية الوطنية شكل أول وزارة استقلالية ضمت وزراء الخارجية و عقدت اتفاقية جديدة مع فرنسا تنازلت بموجبها فرنسا عن تحفظاتها اتجاه تونس و بعد يومين أعلن عن تشكيل جيش تونسي و ألغيت المحاكم الفرنسية سنة 1957م, و أعلنت الجمهورية في 25جويلية1957م فكانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للجمهورية التونسية[3]

المبحث الثالث : حكومة لحبيب بورقيبة و أهم انجازاتها:

وفي الأيام الموالية لانتصاب المجلس التأسيسي، ظهرت سرعة فكرة استقالة حكومة الطاهر بن عمار عملا بالتقاليد الجارية في البلدان الديمقراطية، كما ظهر وفاق في صفوف الحزب بأنه لا مناص من ترشيح الحبيب بورقيبة لرئاسة الحكومة لمعالجة الوضع الجديد الناتج من اعلان الاستقلال التام ومواجهة المشاكل الكبرى المتعددة القائمة داخليا والتي تتمثل في:

---

[1]- مجلة الأحوال الشخصية: وهي مجموعة تشريعات تتسم في طابعها باسم "الثورية البرجوازية" وقد حددت سن الزواج بـــ 17 عام، وأقرت بالاجهاض، ونصت على أن الطلاق يتم الا أمام المحاكم، وعدلت من قوانين الميراث المستمدة من الاسلام لمصلحة المرأة خصوصا، وحددت الزواج امرأة واحدة لا أكثر، والمهر بدينار، أنظر الى: توفيق المدني، المعارضة اليوسفية وتطوراته, منشورات الكتاب العربي, دمشق 2001, ص 114.

[2]- راغب السرجاني : مرجع سابق, ص 49.

[3]- عبد الفتاح عبد الكافي: موسوعة الدول و البلدان و الأماكن , منتدى المكتبة الاسكندرية , القاهرة ص 793.

- الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية
- الأزمة داخل الحزب بسبب تمرد صالح بن يوسف

خارجيا وتتمثل في :

- حرب الجزائر و انعكاساتها السلبية في تونس[1].

و بعد أيام قضاها في المشاورات، شكل بورقيبة حكومته في 16أفريل1956م و أراد بورقيبة باتفاق الجميع أن تكون دستورية منسجمة , وحرص أن تشمل كل التيارات المتواجدة داخل الحزب، وكل جهات البلاد وكل الأجيال، من محمود الماطري[2] الى البشير بن محمد[3]و بقي الباهي الأدغم في منصبه نائبا لرئيس الحكومة ولأول مرة ضمت قائمة الوزراء وزير الخارجية و وزير الدفاع, واحتفظ بورقيبة بالمنصبين, ريثما يتم احداث الوزارتين و تتم المفاوضات الجارية مع فرنسا لنقل الصلاحيات، وبمجرد استلام لمقاليد الأمور لتجسم الاستقلال على أرض الواقع، ورغم العقبات والعراقيل السياسية والقانونية التي اعترضت بورقيبة من كل جانب[4]:

أولا:الباي الذي لا يزال جالسا على العرش، وهو مصدر التشريع .

ثانيا: فرنسا وهي رغم امضائها على بروتوكول 20 مارس 1956م، لازالت متماسكة بمجموعة اتفاقيات الاستقلال الداخلي، بل مازالوا يمارسون النفوذ في الأمن والقضاء

---

[1]- أحمد المستيري : شهادة للتاريخ , دار الجنوب , تونس , 2011 , ص ص 95-96.

[2]- ولد في 11 ديسمبر 1897م طبيب و سياسي تونسي, يعد من أبرز قادة الحركة الوطنية التاريخيين ووزير سابق ساهم في تأسيس نجمة الشمال الأفريقي وعين وزير للصحة في عهد الاستقلال في أول حكومة وطنية تشكلت في أفريل1956م برئاسة الحبيب بورقيبة , أنظر الى: الصادق الزمرلي: أعلام تونسيون , الساحلي , دار الغرب الاسلامي, بيروت ص 355.

[3]- صحفي تونسيي ومؤسس مجلة **جون أفريك** الدولية المتخصصة في الشؤون الأفريقية كان كاتب أيام الرئيس لحبيب بورقيبة ولد في 02أفريل1928م في مدينة جربة, شارك في الوفد التونسي الذي تفاوض مع الفرنسيين حول الحكم الذاتي .

[4]- المصدر نفسه ص 96.

والشؤون الخارجية وغيرها من القطاعات أما جيشها فهو يحتل البلاد طولا وعرضا ويتجول في مدنها وأريافها.

ثالثا: حرب الجزائر اندلعت في نوفمبر 1954م , بدأت تظهر انعكاساتها السلبية في المناطق الحدودية (الكاف , جندوبة, قفصة)[1]

و في بضعة أشهر تحقق تجسيم الاستقلال و ذلك باستلام سلطات الأمن جهازه و تأسيس وزارتي الدفاع و الخارجية، واستلام الاذاعة و تأسيس وتنظيم الحرس الوطني و اعادة تنظيم الجيش[2].

انجازات الحبيب بورقيبة:

– اعلان النظام الجمهوري : يرجع موقف بورقيبة من النظام الملكي الى ما قبل الاستقلال , من خلال تصريحاته للصحف الفرنسية و التي ندد فيها باصلاحات مارس 1954م , ونعت خلالها الباي بأنه مسن عاجز.

– أصدر أمر من الأمين باي بتاريخ 29 ديسمبر 1955م يقضي بانشاء مجلس قومي تونسي منتخب لاعداد دستور لتونس.

– اتخذ مجموعة من القرارات والتي تتمثل في:

*ادماج ممتلكات الباي ضمن أملاك الدولة.
*تغيير شعار الدولة بشعار جديد ليس فيه أي اشارة الى المملكة[3].
*أعلن بشكل حاسم في احدى خطبه الأولى أن اللغة الفرنسية ستبقى في تونس نافذة على الحضارة الحديثة وأن هذا الخيار لا يضع هوية تونس موضع شك.

[1]–أحمد المستيري: المصدر السبق، ص 96.

[2]- أحمد القصاب : المرجع السابق , ص 597.

[3]-حنان علي ابراهيم و فؤاد علي وهاب: قضايا و دراسات في الشأن السياسي لدول المغرب العربي, ط1, الأكاديميون للنشر و التوزيع , عمان (الأردن) 2015, ص ص132.133.

*أن جعل يوم الجمعة راحة أسبوعية في مختلف الادارات العمومية.

*عدم ربط البلد باتصالات مهمة مع العالم الخارجي وخاصة المؤسسات الاقتصادية والمالية الدولية لمدة ثلاثة أيام في الأسبوع.

*اصدار أمرا يجعل يوم الأحد يوم العطلة دون سواه.

*أغلق الفروع الجهوية لجامع الزيتونة و اختزل التعليم الزيتوني في حدوده الديني.

*لاحظ أن الأرقام الهندية مستخدمة في الدول العربية وحدها , مما يبقيها على هامش التقدم العلمي في العالم الحديث, لهذا قرر استبدالها بالأرقام العربية .

*أطلق خلال زيارته الى المناطق الداخلية بالبلاد حملة ضد الحجاب[1].

*أمر بهدم بعض المعالم المرتبطة بطقوس الطرق الصوفية

*تم تحديث الحالة المدنية.

*صدور مجلة الأحوال الشخصية الثورية.

*أعاد النظر في التعليم في اتجاه اصلاحي.

*عمل على بناء المجتمع و تغيير الأفكار وفتح أفاق جديدة أمام الشعب.

* وضع مشروعا جديدا ألا وهو مشروع التحرر الاجتماعي.

*قام باعادة تنظيم الحزب و حاول أن يرسخ في أذهان التونسيين تقديس الجمهورية[2].

*دعى في 1956م الى منع الصوم على الشعب التونسي حتى في شهر رمضان بدعوى أن الصوم يقلل الانتاج ويعيق تقدم تونس[3].

*أنشأ مجلس تأسيسي وطني لصياغة دستور جديد.

---

[1]- الشاذلي القليبي: أضواء من الذاكرة الحبيب بورقيبة، دار الكتاب الوطنية، تونس , 2014 , ص ص 70–71.

[2]- المصدر نفسه، ص – ص 73 – 75.

[3]- راغب السرجاني: المرجع السابق , ص 48.

*عقد علاقات ثقافية مع جيرانه المغاربة و أعطيت لهذه العلاقات الأولوية, و هذه الرغبة تدخل في اطار سياسة لحبيب بورقيبة الرئيس, والذي كان يعطي الأولوية للتعامل الاقليمي المغاربي[1]

[1]- محمد الأزهر الغربي: تونس رغم الاستعمار, ط 1, دار نفوتنس عربية , تونس , 2013, ص 308.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: علاقات بورقيبة الخارجية لتونس المستقلة

1- إزاحة الباي 25 جويلية 1957م

2- العلاقات الخارجية لبورقيبة

3- بورقيبة والدولة الحديثة

المبحث الأول: ازاحة الباي في 25 جويلية1957م:

عقد المجلس التأسيس يوم 8 أفريل بقصر باردو وبحضور الأمين باي[1] مرتديا الكيسات، دامت الجلسة بضعة دقائق, جلس الباي على عرش نصب في القاعة الكبرى يحف به أمراء العائلة الحسينية يمينا وشمالا، ثم تقدم محمد أشنيق والى جانبيه أحمد بن صالح وبورقيبة[2] و تلا خطابه واقفا، ولم يجلس على المنصة، وظن الباي أنه سيبقى حاضرا، حتى يتم انتخاب مكتب المجلس وظهر بعض التململ عند الحاضرين، كان الباي يعتقد أن الجلسة تنعقد برئاسته أو تحت اشرافه، أما بالنسبة للأعضاء فحضورهم كان رمزيا بالأساس، يقصد به اقرا شرعية المجلس التأسيسي و الاعتراف به فهمس بورقيبة وتلاه المنجي سليم والباهي الأدغم في أذن الطاهر بن عمار بأن يقول للباي أن الجلسة توقفت وأن دوره انتهى، والباي لم يفهم الاشارة، فما كان من الطاهر بن عمار الا أن قام من مقعده وتقدم نحو العرش، وقال للباي بصوت عال وفي شيء من الاضطراب "**سيدنا أبا تفضل!**"[3].

---

[1]- ولد في 4 سبتمبر 1881م و توفي في 30سبتمبر 1962م أخر البايات التونسيين تولى العرش الحسيني ما بين 15ماي 1943 و 25 جويلية 1957م تاريخ اعلان الجمهورية التونسية , عين وليا للعهد في بداية فترة حكم المنصف باي و خلال الحرب العالمية الثانية, تشكلت في عهده سبع وزارات تولاها الوزراء الأوائل التالية أسماؤهم صلاح الدين بعوش, مصطفى الكعاك, محمد أشنيق, محمد الصالح مزالي...., تزوج عام 1902م من الأميرة جنينة ورزق منها 12 ولدا, أنظر الى: عمار خليفي: المنصف باي الملك الشهيد, ترجمة محمد الطاهر الذوادي , تونس 2006 ص 126.

[2]- ولد بمدينة المنستير في 03أوت 1906م و كان سابع اخوته, أسرته متوسطة الحال ووالده الحاج علي بن محمد بورقيبة, كان عسكريا في جيش الباي ترقى حتى رتبة ملازم و سرح من الجيش سنة 1881م, و لما بلغ الحبيب الخامسة من عمره أرسله أبوه ليتعلم ودرس في المدرسة الصادقية المرحلتين الابتدائية و الثانوية, دون أن يحصل على شهادة الدراسة الثانوية و في 1921م التحق بمدرسة كارنو على نفقة أخيه محمود و نال شهادة البكالوريا الفرنسية سنة 1924م ثم التحق بكلية الحقوق في جامعة السوربون بباريس و نال شهادة ليسانس في القانون سنة 1927م, كما حصل على شهادة العلوم السياسية, توفيت والدته في 1913م ثم والده 1926م و في باريس تزوج من الفتاة **ماتيلدالوران** التي أنجبت من الحبيب الابن , انظم الحبيب بورقيبة الى الحزب الدستوري سنة 1922م وفي بداية 1929م شرع في الكتابة بجريدة اللواء التونسي الصادرة بالفرنسية, وأسس جريدة العمل في 1932م و توفي سنة 2000م, أنظر الى:علي محافظة: شخصيات من التاريخ, سير وتراجم بوفرة, ص109.107 .

[3]- أحمد المستيري, شهادة للتاريخ, دار الجنوب, تونس, 2011, ص 95.94.

قام الباي وغادر مع حاشيته، وأثر خروجه صعد أعضاء المكتب على المنصة واستؤنفت الجلسة و تم انتخاب الحبيب بورقيبة كرئيس للمجلس وبقية أعضاء المكتب[1] عند استلامه لسلطة يعتبرها عليا بعد تحويله الباي في بضعة أيام الى مجرد ديكور، جعل منه الممسك الوحيد بدفة القيادة، فكان يريد أن يحقق من بعده، وكان يرى نفسه على ركح التاريخ الكبير و كان يعلم أن توليد السلطة يجعله يتحمل مسؤولية جسيمة، ووضع لذلك استراتيجية محكمة حتى يكون طليق اليدين[2].

لقد أمضى بورقيبة زمنا طويلا في اعداد ازاحة الباي محمد أمين الذي وضع فيه كل طاقته واستعمل كل ما يملك من بالغة فأعد خطابا في 25 جويلية حيث بدا بورقيبة خطيبا بليغا طورا ومعلما مؤرخا تارة وواعظا أخلاقيا ليقدم صورة حقيقية لتاريخ تونس ورؤية المستقبل وخطة استراتيجية لضمان ديمومة السيادة، وفي ذلك اليوم المشهود يوم 25 جويلية، حصل الحبيب بورقيبة على عزل الباي من ممثلي الشعب الذين أوصاهم في شيء من التأنق بألا يستبدلوا سلالة الحسينية بسلالة بورقيبة أي تغيير النظام الملكي بنظام جمهوري، وعين المجلس القومي التأسيسي بالاجماع بورقيبة أول رئيس للجمهورية التونسية[3]، ومما زاد في ضعف موقف العائلة الحسينية بعد حصول البالد على استقلالها في 20مارس 1956م, فتتابعت الاجراءات ومن بينها خاصة الأمر المؤرخ في 31 ماي 1956م و الذي ينص على ايقاف الجزايات التي كانت تصرف على أعضائها وفي 21 جوان 1956م صدر أمر بتحويل شعار المملكة التونسية حذفت بموجبها كاشارة الى العائلة الحسينية وفي 3 أوت صدر أمر أخر حول السلطات التنفيذية من الباي الى وزيره الأكبر، فأجبر بورقيبة الباي على الامضاء على التخلي على عدد من ملكياته لفائدة الدولة، وبعد سنة ونصف اتخذ المجلس القومي التأسيسي قرار بالغاء النظام الملكي بالبلاد التونسية واعلان النظام

[1]– أحمد المستيري, المصدر السابق, ص 95.

[2]– الشاذلي القليبي: أضواء من الذاكرة , الحبيب بورقيبة, دار الكتب الوطنية , تونس 2014, ص 70.

[3]– المصدر نفسه، ص 80.

الجمهوري في 25 جويلية 1957م، ووضع الأمين باي صحبة ولي عهده و أبنائه الثلاث وصهره محمد بن سالم رهن الاقامة الجبرية في قصر الهاشمي بمنوبة ثم نقل مع زوجته سنة 1958م للاقامة في منزل في ضاحية سكرة ثم أخلي سبيله في أكتوبر 1960[1].

حسم بورقيبة أمر الملكية في حركة احتدمت فيها السرعة بالحزم الشديد ولقد ظل وفيا وهو يقدم على اتخاذ تلك الخطوة لأسلوبه المرحلي المومأ اليه وكان كل شيء يشير صباح يوم الخميس 25 جويلية 1957م، الى أن التحضيرات والاستعدادات للاعلان عن حدث الجمهورية، وقد اكتملت في أدق تفاصيلها وفق ما خطط لها بورقيبة وأنصاره المتحمسون والذين دعتهم جريدة **L'action** في نشرتها بتاريخ 29 جويلية 1957م.

وكان من بين الذين كلفوا بابلاغ محمد الأمين باي قرار المجلس التأسيسي القاضي بالغاء الملكية و اعلان الجمهورية هو رئيس الوفد "**علي البلهوان**"[2].

والحاصل من هذا أن بورقيبة الذي أدرج اعلان الجمهورية في نطاق تصفية الاستعمار والتخلص من رواسبه، أراد أن يجمع شروط النجاح من أطرافها قبل أن يقدم على الغاء الملكية[3].

---

[1]– الشاذلي القليبي: المصدر السابق، ص ص80.81.

[2]– ولد في 13أفريل1909م في تونس العاصمة وتوفي بها في 10ماي 1958م، أحد زعماء الحركة الوطنية التونسية برز علي البهلوان منذ كان يدرس بفرنسا حيث قام بدور قيادي في جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بعد عودته الى تونس برز في صلب حزب الحر الدستوري الجديد، وقام خلال أحداث أفريل1938م بدور كبير حيث قاد مظاهرة كبيرة وألقي القبض عليه ولم يطلق سراحه الا بعد 5 سنوات، اتجه عام 1951م الى المشرق العربي للتعريف بالقضية التونسية، أما بعد الاستقلال أنتخب في المجلس التأسيسي في مارس 1956م وفي السنة الموالية أسندت اليه رئاسة بلدية تونس.

[3]– نبيل خلدون قريسة: روافد مجلة المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،ع، 12، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،تونس، 2010، ص– ص103–101.

المبحث الثاني: العلاقات الخارجية لبورقيبة

المطلب الأول: علاقة تونس بالدول العربية:

1- علاقة بتونس بالجمهورية العربية المتحدة:

منذ أن استقلت تونس اتسمت العلاقة بين هذه الأخيرة ومصر بتوتر خفي كان سببه المساندة المصرية لصالح بن يوسف و الرفض القاطع "للحياد الايجابي" الذي دعى اليه جمال عبد الناصر, هذه الخلاف الجوهري لم يتم تجاوزه لا عن طريق التصريحات التضامنية لبورقيبة مع عبد الناصر أثناء أزمة السويس و لا حتى عن طريق عرض عبد الناصر تزويد تونس بالأسلحة , ازدادت الخلافات حدة أيضا بسبب التنافس بين بورقيبة و عبد الناصر في التأثير على جبهة التحرير الوطني الجزائرية , ثم كذلك بسبب اقتراحات بورقيبة توحيد شمال أفريقيا مع انضمام ليبيا الى الاتحاد[1].

تم في بداية شهر مارس 1958م اكتشاف مؤامرة كان دبرها صالح بن يوسف، بما أن الشرطة التونسية قدمت اثباتا عن الضلوع المباشر للسلط المصرية في هذه المؤامرة، أعلن بورقيبة في خطابه يوم 6 مارس عن قطع العلاقات الدبلوماسية مع القاهرة، غير أن هذه الخطوة لم يتم تنفيذها لأن بورقيبة كما صرح لاحقا, أمل أول مرة في أن تعتذر الجمهورية العربية المتحدة، وأن تتخذ اجراءات ضد نشاط بن يوسف، العامل الأكثر حسما بالنسبة الى تردد بورقيبة في تنفيذ مع القاهرة في ذلك الظرف بالذات لربما كان الى جانب صعود نجم عبد الناصر بسبب اتحاد سوريا مع مصر، قبل كل شيء، عدم الاستقرار في تونس الذي ظل بعد قضية ساقية سيدي يوسف والأزمة الوزارية في فرنسا، يتهدد استمرارية الاستقلال الى حد كبير[2].

---

[1]- فيرنرروف: المصدر السابق, ص 110.

[2]- المصدر نفسه، ص 110-111.

النزاع بين بورقيبة وجبهة التحرير الوطني الجزائرية الذي عقب تولي ديغول الحكم والتوقيع على اتفاقية جلاء القوات الفرنسية، هذا النزاع الذي نشأ بسبب مد خط الأنابيب، يمكن اعتباره سببا آخر جعل بورقيبة يحاول النأي بنفسه عن مزيد من العزلة أمام البلدان العربية.

في الوقت الذي كانت فيه الدبلوماسية التونسية حريصة على تسوية النزاع الناشئ مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية بسبب ابرام الاتفاق مع الشركة البترولية الفرنسية، عبر المغرب بكل وضوح عن نيته الانضمام الى منظمة جامعة الدول العربية في 6 سبتمبر 1958م, أجريت مشاورات بين المغرب وتونس بخصوص انضمام البلدين الى الجامعة العربية في 1 أكتوبر 1958م، تم التحاقهما رسميا بالجامعة[1].

استغلت تونس الجلسة الأولى للجامعة العربية لتبسيط نقطة الخلاف بين تونس و القاهرة و المتولدة عن المساندة المصرية لصالح بن يوسف, الحبيب الشطي, اتهم الجمهورية العربية المتحدة، نظرا لتدخلها في شؤون دول أخرى, بخرق المادة الثامنة من ميثاق الجامعة العربية, أثناء القاء لحبيب الشطي لكلمته, غادر وفد الجمهورية العربية المتحدة جلسة الجامعة التي تم تأجيلها رغم احتجاج الوفد التونسي، نتيجة لذلك وزع الوفد التونسي على الصحافة مذكرة كان سلمها يوم 11 أكتوبر 1958م الى مجلس الجامعة العربية، أشارت الحكومة التونسية في هذه المذكرة الى أن العمل المثمر داخل الجامعة الذي يرمي الى تحقيق الأهداف المشتركة لكل العرب و يأخذ بعين الاعتبار التهديد الذي يمثله عدو العالم العربي ألا و هو الكيان الصهيوني، هو اليوم غير مضمون بسبب السياسة المصرية [2] لصالح بن يوسف فمن الواضح أن بورقيبة تمنى لو أن تلك البلدان العربية التي تم بعد اكتشاف أنشطة سرية مصرية داخلها مثل: لبنان، الأردن، العراق والسودان، ساندت المسعى التونسي، في اشارة الى الأعمال العدائية للجمهورية العربية المتحدة ضد تونس ونظرا لانقطاع جلسة الجامعة

[1]– فيرنر وف: المصدر السابق, ص 212.

[2]– المصدر نفسه، ص 213.

العربية أثناء القاء مندوب تونس لكلمته اعتبر بورقيبة أن التعاون مستقبلا في اطار الجامعة العربية مستحيل و طلب من وفده الرجوع الى تونس[1].

في 12 أكتوبر، ولائحة تم قبولها بالإجماع رفضت الجامعة العربية الاتهامات التونسية، ودعت تفد الجمهورية العربية المتحدة للرجوع الى مقعده، أما تونس فلم تصلها دعوة مماثلة الا في 15 أكتوبر 1958م مع مطالبتها في نفس الوقت بإسقاط اتهاماتها ضد مصر، عززت القاهرة حملتها الاذاعية ضد بورقيبة أكثر واتهمته بالخصوص بخيانة أهداف جبهة التحرير الوطني الجزائرية، لأنه حسب رأيها يعارض الاستقلال الكامل للجزائر.

في خطاب له أمام المجلس التأسيس يوم 16 أكتوبر 1958م أبدى بورقيبة رأيه في هذا الخلاف، لم يكتف في حديثه فقط بالإشارة الى أن الحكومة التونسية تتمسك بموقفها الذي ضمنته المذكرة التونسية بل شبه بالإضافة الى ذلك، سياسة مصر بالاستعمار الفرنسي ثم رفع أخيرا الخلافات القائمة بينه وبين جمال عبد الناصر الى مستوى الصراع بين الشرق و الغرب.

قطع بورقيبة العلاقات الدبلوماسية مع القاهرة وعهد الى ليبيا برعاية المصالح التونسية في الجمهورية العربية المتحدة[2].

[1]– فيرنر وف: المصدر السابق, ص 213.

[2]– المصدر نفسه، ص ص 214–215.

2-علاقة تونس بالمغرب:

منذ سنة 1957م اتسمت العلاقات ببين تونس والمغرب بالبرودة أكثر فأكثر لأن بورقيبة ومحمد الخامس كانا يتنافسان في بذل جهد الوساطة بين فرنسا وجبهة التحرير الوطني الجزائرية.

زادت العلاقات المغربية التونسية تدهورا بمناسبة الظهور التونسي أمام الجامعة العربية عن موقف الجمهورية العربية المتحدة , و صرح أنه في نطاق الجامعة العربية , لا يمكن أن تكون هناك سياسة مشتركة بين المغرب و تونس بعد أن احتج بورقيبة لدى الرباط عبر محمد الخامس عن استعداده للقيام بوساطة في نزاع تونس مع الجمهورية العربية المتحدة, ثم التخفيف من حدة التوتر بقدر كبير بواسطة التوقيع على ست اتفاقيات بين تونس و المغرب في الرباط يوم 30 مارس 1959م[1], لكن لا لهذه الاتفاقيات التي كانت تقنية بحتة, و التي للعلم لم يتم تحقيق ما جاء فيها أبدا، ولا حتى زيارة ولي العهد المغربي الحسن الى تونس في أفريل سمحت, بتقارب يستحق الذكر بين البلدين على عكس ذلك حاول كل من المغرب و تونس , الشيء الذي أكدت عليه زيارة محمد الخامس لديغول في جوان 1959م.

برزت بعد ذلك مشكلتان بالغتا الصعوبة بين البلدين، مسألة المشاورات بخصوص بيع الفسفات و الأخرى المتعلقة بالجدل حول استقلال موريتانيا وأهم حقل منجمي في تونس يتمثل في استخراج الفسفات في الجنوب الغربي للبلاد, لكن أكبر منتج للفسفات في العالم ينفي المغرب الذي لا يتفوق فسفاته على نظيره التونسي من حيث الجودة [2].

---

[1]- شملت الاتفاقيات: العلاقات القنصلية و الثقافية بين الدولتين, تفاهمات بشأن التعاون في مجالات البريد, الصحة و العدل, كما شملت تبادل البرامج الاذاعية و الأعمال السينمائية , هذه الاتفاقية تم اعتبارها من طرف رئيسي الدولتين و الصحافة بأنها تشكل قاعدة مهمة لبناء وحدة المغرب العربي الكبير, رغم القيمة السياسية الضئيلة لهذه الاتفاقيات فانه لم يتم تحقيق ما جاء فيها أبدا.

[2]- فيرنر وف: المصدر السابق, ص ص 215-217

مصدر الخلاف الأساسي كان مسألة موريتانيا كان المغرب فور حصوله على الاستقلال أعلن عن أحقيته على هذه المنطقة في السنوات الموالية كرر المغرب الحديث باستمرار عن أحقيته على هذه المنطقة التي توجد فيها مناجم كبيرة من الحديد, احتد النزاع, لما كشفت فرنسا عن نيتها منح موريتانيا استقلالها[1].

في 15 أكتوبر وصل ولي العهد الحسن الى تونس البلاغات الرسمية, قالت أن المحادثات التي سيقوم بها من شأنها أن تحضر لزيارة والده , محمد الخامس لكن الأكثر احتمالا هو أن مهمة الحسن كانت استكشاف موقف تونس النهائي بخصوص مسألة موريتانيا منذ 7 نوفمبر 1960, كان محمد الخامس طلب في رسالة الى بورقيبة أن يكون رأي تونس النهائي لصالح الموقف المغربي, أخيرا طالب محمد الخامس تغريبا في لهجة الإحذار الأخير, بمساندة تونس اللامشروطة للموقف المغربي , مثلما فعل محمد الخامس الذي علل أحقية المغرب الترابية كونها تخدم مصالح اتحاد المغرب العربي.

علل بورقيبة أيضا موقفه المساندة لاستقلال موريتانيا بالإشارة الى ضرورة وجود اتحاد مغرب عربي, قبل كل شيء اتهم بورقيبة المغرب بأنه لم تتم استشارته بخصوص هذه الحزمة من المواضيع , مسبقا, الاعتراف بموريتانيا بين بورقيبة بأنه يهتدي بما تمليه عليه مصالح المغرب العربي بهذا بلغ الخلاف الكامن بين تونس و الرباط أوجه و قاد الى عزلة تونسية أكبر داخل الصف العربي, بوادر التقارب من جديد بين تونس و المغرب لم تظهر الا لما قامت المغرب بدور الوساطة في النزاع الجزائري التونسي في فيفري 1963, رغم ذلك احتاج الأمر الى الاتصال الشخصي بين رئيسي الدولتين أثناء مؤتمر القمة العربية في جانفي 1964 في القاهرة, قبل أن يتم ربط علاقات دبلوماسية عادية بين الرباط و تونس من جديد جوان 1964م[2].

[1]- فيرنر وف: المصدر السابق, ص 218.

[2]- المصدر نفسه، ص- ص، 218-220.

3-علاقة تونس بالثورة الجزائرية:

استرجعت تونس سيادتها في 1956م وقد استفادت الثورة الجزائرية من هذا الحدث, اذ أصبح لها هامشا و دعما كبيرا, وقد تحركت الدبلوماسية التونسية لتحسيس الرأي العام الفرنسي و الغربي بضرورة ايجاد حل سياسي للقضية الجزائرية و التفاوض مع المجاهدين و الاعتراف بحقهم في تقرير مصيرهم, كما أن الحبيب بورقيبة ربط مساعدته للجزائريين بمواصلة تجربة الاستقلال الذاتي وعدم عرقلتها علما أن الجزائريين قد نددوا بالحكم الذاتي و تحالفوا مع صالح بن يوسف[1]

ومن أجل تمتين العلاقة بين جبهة التحرير الوطني الجزائرية والحكومة التونسية اتصل محمد البجاوي بالحبيب بورقيبة بعد تعيينه رئيسا للحكومة التونسية لتنسيق المواقف و استقبله بورقيبة بحرارة وقدم له البجاوي عشرين مطلبا واستجاب بورقيبة لكل المطالب وكانت هذه الموافقة نتيجة تضامنه الفعلي مع الشعب الجزائري[2].

كما أن موقف الحكومة التونسية التضامني مع الجزائر كان تعبيرا عن رغبة الشعب التونسي وقد اعتبرها رهانا سياسيا لتحقيق الانتصار السياسي على المعارضة اليوسفية وذلك بكسب الجزائريين الى صفها والحصول على اعتراف جبهة التحرير الوطني بنظامها وتحقيق الاستقرار والنظام في تونس بشكل يؤهل بورقيبة لإقامة علاقات التعاون مع فرنسا.

وعلى الرغم من التسهيلات المدعمة لنشاط جبهة التحرير الوطني في تونس فان الموقف السياسي للحكومة التونسية لم يرق الى مستوى أهداف ومبادئ الثورة الجزائرية نظرا لاختلاف التوجهات السياسية و تباين طبيعة القضية الجزائرية عن القضية التونسية[3]

---

[1]- حبيب حسن اللولب: التونسيون و الثورة الجزائرية (1954-1962) أطروحة لنيل شهادة دكتوراه قسم التاريخ, جامعة الجزائر 2006, 2007, ص 196.

[2]-محمد البجاوي : حقائق عن الثورة الجزائرية, دار الفكر الحر , بيروت 1971, ص 135.

[3]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح – مذكرات – ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988، ص 154.

كما أن تطور المشكل الجزائري الذي هدد كامل الشمال الأفريقي دفع تونس الى التأكيد على ضرورة تكتل الشمال الأفريقي، لهذا قام بورقيبة بعدة مساع في هذا الاتجاه مع المغرب و ليبيا فعقدت تونس معاهدات تضامن و صداقة مع الحكومة المغربية في مارس 1957م و بعد شهرين عقدت معاهدة أخرى مع المملكة الليبية و أكدت المعاهدتان ضرورة الوصول الى حل سلمي لقضية الجزائر في اطار تكتل الشمال الأفريقي[1].

و لقد تأكد الحضور السياسي لجبهة التحرير الوطني في تونس بعد التحاق لجنة التنسيق و التنفيذ في ماي 1957م واتصالاتها بالمسؤولين التونسيين لتثمين فعالية الدعم التونسي لنشاطات جبهة التحرير الوطني السياسية و الاجتماعية[2].

كما أن أهداف جبهة التحرير الوطني من الكفاح المسلح هو تحقيق اعتراف فرنسا باستقلال الجزائر كمبدأ أساسي للتفاوض و ايقاف القتال, و قد تضمنت مواثيق الثورة هذا المبدأ الأساسي لكن لجنة التنسيق و التنفيذ لم تثره بشكل جلي للنظام التونسي الا خلال اجتماعها في تونس في أكتوبر 1957م قبل شروع الرئيس بورقيبة مباحثاته مع الملك محمد الخامس و طرح مشروع الوساطة المشتركة لايجاد حل للمشكل الجزائري, و قد قبلت جبهة التحرير الوطني الجزائري الوساطة التونسية و المغربية لكن فرنسا رفضتها بحجة أن تونس و المغرب غير محايدتين[3].

والملاحظ أن بورقيبة بعد اختطاف القادة الجزائريين أصبح يركز على هيئة الأمم المتحدة و الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة البريطانية ويتحرك في هذا الاتجاه و يهدف من كل هذا الى تدويل القضية الجزائرية الى أن جاء جاءت أحداث ساقية سيدي يوسف 1958/2/8 حيث قصفت الطائرات الفرنسية منطقة الساقية والتي عرف بورقيبة كيف

---

[1]- قليل عمار: ملحمة الجزائر الجديدة, ج3, ط1, دار البعث, قسنطينة 1991, ص ص 133-134.

[2]- فتحي الديب: عبد الناصر و ثورة الجزائر, ط1, دار المستقبل العربي 1984, ص 161.

[3]- المصدر نفسه، ص 361.

يستثمرها ويفعلها لصالح القضية الجزائرية حيث قبل بالوساطة الأنجلوسكسونية الأمريكية-البريطانية و هي لجنة المساعي الحميدة واشترط عليها معالجة المسألة الأساسية المتمثلة في الحملة العسكرية الفرنسية لإخماد الثورة الجزائرية[1].

تقدمت تونس باقتراحات جديدة لحل القضية الجزائرية تتكون من نقطتين تمحورت حول عقد مائدة مستديرة تجمع جبهة التحرير الوطني الجزائرية و فرنسا و المغرب و تونس و ذلك لمناقشة القضية الجزائرية من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة , و ينتج عنها مجموعة شمال أفريقيا[2].

وقد عقدت هذه الندوة في 25-29 أكتوبر 1957م بمنزل خاص يقع بضواحي تونس, وقد حضر هذا الاجتماع رئيس الوفد الخارجي أمين دباغين و منسق الجيش كريم بلقاسم و فرحات عباس عضو الوفد الخارجي, و عبد الله طوبال قائد ولاية شمال قسنطينة و عبان رمضان عضو لجنة التنسيق و التنفيذ و عبد الحميد مهري ممثل الجبهة بسوريا و محمد يزيد ممثل الجبهة بالأمم المتحدة واتفقوا على أن يكون الاستقلال شرطا أساسيا و أقروا كذلك ضرورة عقد ندوة ثلاثية في القريب العاجل , و قد استقبل الوفد الحبيب بورقيبة و أحاطوا علما لمقررات الندوة التي عقدوها في تونس[3].

و قد ذكر فتحي الديب في كتابه "**عبد الناصر و ثورة الجزائر**" المقترحات و الخطة التي تقدم بها الحبيب بورقيبة لحل القضية تتمثل في:

- اعطاء الجزائريين الضمانات الكافية لإجراء انتخابات حرة لاختيار ممثلين لمفاوضة فرنسا.

---

[1]- عواطف عبد الرحمان: الصحافة العربية بالجزائر, دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962) دار المأمون للطباعة 1978 , ص ص 180-181

[2]- حبيب حسن اللولب: مرجع سابق, ص 201.

[3]- فتحي الديب: مرجع سابق, ص 301.

- لا يتم ايقاف القتال قبل التأكد من هذه الضمانات.
- اطلاق سراح الزعماء الجزائريين المعتقلين بباريس.
- عقد مؤتمر تونس يحضره ممثلين عن الدول العربية و دول البحر الأبيض المتوسط لدراسة مقترحات بورقيبة[1].

وقد هاجم بورقيبة سياسة الحكومة الفرنسية و مشاريعها حيث تنوي احداث منطقة الحرام وهي نتيجة عنادها قائلا « فهناك بين المغرب و تونس منطقة تسمى الجزائر فيها عشرة ملايين من البشر قبضة حيوانات كاسرة لا رحمة لها...»[2].

كما عملت الحكومة التونسية على التنسيق مع ليبيا من أجل التحرك بصورة جماعية لمساعدة الجزائر الشقيقة حيث صرح بورقيبة اثر زيارته الى ليبيا على امكانية القيام بعمل مشترك يرمي الى الأخذ بيد الجزائر في محنتها و في هذا الاطار اجتمع بورقيبة برئيس مجلس الوزراء الليبي مصطفى بن حليم في 2 و 6 جانفي 1957م و أصدر بلاغا مشتركا , وقد تناول الطرفان الحل العادل يقتضي الاعتراف بحق الشعب الجزائري في السيادة و الاستقلال و تقريره مصيره [3] وتحركت الدبلوماسية التونسية لتنسيق المواقف مع ليبيا اثر قرار الحكومة الفرنسية القاضي بإنشاء منطقة حرام على طول الحدود التونسية الجزائرية حيث اجتمع السفير التونسي بليبيا مع وزير الخارجية الليبي وتم استعراض الأوضاع والتحركات المشتركة[4].

[1]- أمقران عبد الحفيظ: مذكرات من مسيرات النضال والجهاد، ط1، شركة دار الأمة، 1997، ص 116.

[2]- المرجع نفسه، ص 117.

[3]- يحي بوعزيز: ثورات الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرون، ج2، ط2، منشورات الغرب الجزائر،1996، ص 222.

[4]- المرجع نفسه، ص 222.

المطلب الثاني: علاقة تونس بالغرب:

1- علاقة تونس بفرنسا:

اتسمت العلاقة بين فرنسا وتونس بالمفاوضات المكثفة بين الحكومتين، فحتى قبل اعتماده اتصل السفير الفرنسي برئيس الوزراء التونسي وفي 14 فيفري 1957م زار كاتب الدولة السابق في الوزارة الخارجية الفرنسية موريس فور تونس، تم التوصل أثناء هذه المباحثات الى اتفاق بشأن التعاون المشترك في مجال تسيير الادارة كما تمت تسوية وضعية الموظفين الفرنسيين في تونس، أما مطالبة تونس بجلاء القوات الفرنسية، فلم يتم التوصل الى تفاهم بشأنها، فبينما صرح بورقيبة أن مهمته لا يمكن أن تنتهي ما دام جندي فرنسي واحد مازال مرابطا فوق التراب الفرنسي[1]، دقق بورقيبة موافقته على المقترح المغربي, وذلك بأن تشبث بموقفه الذي حدده في خريف 1956م، والقائل بأن حلفا دفاعيا يجمع بين تونس وفرنسا وربما دول متوسطية أخرى هو مبدئيا ما ترغب فيه الحكومة التونسية , غير أن التفاوض بشأن حلف كهذا لن يكون الا بعد جلاء آخر جندي فرنسي عن تونس , باتخاذه هذا الموقف تمادى بورقيبة في تطبيق خطته التكتيكية، عبر بكل تلقائية عن تضامنه مع مصالح فرنسا، لكنه حاول في الوقت نفسه الاستفادة من التعاطف الذي حصل عليه في فرنسا بسبب تصريحاته بطريقة تجعل من شروطه هو المتعلقة ببدء مفاوضات أي جلاء جميع القوات الفرنسية، أكد بورقيبة على امكانية استعداده للتوقيع على اتفاقية عسكرية في تصريحاته كانت موجهة قبل كل شيء الى القوى الأنجلوسكسونية، انتهز فرصة انعقاد اجتماع الرؤساء العرب الثلاثة سعود، عبد الناصر، الحسين[2] و رئيس الوزراء السوري، كما ركز على عبارة "**الحياد الايجابي**" التي وردت في البيان المشترك الذي أصدره المؤتمرون

---

[1]- فيرنرروف: المصدر السابق, ص 165.

[2]- المصدر نفسه، ص 166.

الأربعة ليصوغ خطابا على غاية من الانحياز للغرب يصف فيها الحياد بأنه وهمي و يعتبر تعاون تونس مع الغرب الديمقراطي وهذا ما أدلاه بورقيبة في خطابه في 1 مارس 1957م[1].

وفي خطاب 15 مارس 1957م أعرب بورقيبة عن استعداده لتكوين لجنة فرنسية تونسية يعهد اليها بالنظر في المسائل الدفاعية المشتركة و في نهاية مارس تحول بورقيبة الى الرباط ثم الى مدريد, و هو ما أعطى دفعا للتكهنات بامكانية تحقيق الحلف المتوسطي الذي اقترحه محمد الخامس , كنتيجة لمحادثاته بحكم أن الموضوع الأساسي الذي تم التحادث في شأنه بين محمد الخامس و بورقيبة كان القضية الجزائرية, فعللت فرنسا استمرار تمركز قواتها في المغرب و تونس بضرورة حماية الحدود الجزائرية و المواطنين الفرنسيين المقيمين في كلا البلدين, خدش هذا التعليل الشعور الوطني لدى بورقيبة كما لدى محمد الخامس, بقطع النظر عن كل هذا فقد ساهم تواجد القوات الفرنسية كل يوم تقريبا في حصول حوادث في المناطق الحدودية و مصادمات بين القوات الفرنسية من جهة و المدنيين التونسيين و المغاربة من جهة أخرى.

حصلت اشتباكات مباشرة بين جنود فرنسيين و آخرين تونسيين , كما بدأ الجيش التونسي بتنصيب مراكز حراسة على طول الحدود التونسية الجزائرية من جهة أراد الجيش الفرنسي مراقبة المنطقة التونسية في الجنوب لوحده و في ماي 1957م, صارت العلاقات الفرنسية التونسية أكثر توترا, لأن تونس ألحت أكثر في المطالبة بانسحاب فرنسا و تجميع قواتها في بنزرت على الأقل , و لأن فرنسا أعلنت أجزاء من المناطق الحدودية بين المغرب والجزائر ثم بين تونس و الجزائر مناطق عمليات للقوات الفرنسية[2].

تحول تيار اللاجئين الوافدين من الجزائر شيئا فشيئا الى مفصلة اجتماعية وسياسية بالنسبة الى الحكومة في تونس، كان هؤلاء اللاجئون يتكونون أحيانا من عائلات كانت تخشى

[1]– فيرنرروف: المصدر السابق، ص 166.

[2]– المصدر نفسه، ص 168.

العقوبات من طرف الجيش الفرنسي أو الادارة الفرنسية، لأن أحد أفراد العائلة انكشف ارتباطه بجبهة التحرير الوطني الجزائرية، فحاولت هاته الأخيرة أن تنظم هؤلاء اللاجئين سياسيا وأن تعدهم عسكريا بما أن عدد السكان الجزائريين كان الأكبر في بعض الأشرطة الحدودية، لم يكن دائما من السهل بالنسبة الى قوات النظام العام التونسية تنفيذ التعليمات الصادرة عن حكومتها، استخدمت المجموعات القتالية التابعة لجبهة التحرير الوطني الجزائرية ولجيش التحرير الوطني الجزائري الأراضي التونسية كمنطلق لغاراتها داخل التراب الجزائري[1].

ونظرا لتفاقم هذه الحوادث أشعر المنجي سليم الأمين العام للأمم المتحدة بالخطر وقام بمساع لدى وزارة الخارجية الأمريكية, فكان رد فعل بورقيبة أنه قام بإجراءات تأديبية ضد الجالية الفرنسية المقيمة في تونس و التي عللها بكونها تدابير أمنية و أمر بإجلاء عدد من الفرنسيين من الكاف و استدعى سفيره لدى باريس, غير أن الادارة الفرنسية في الجزائر أوضحت أنها لا تنوي السماح للحكومة الفرنسية باتباع سياسة مرنة ازاء تونس.

فهذه الحوادث تواصلت حتى أعنفت قصف ساقية سيدي يوسف يوم 08 فيفري 1958م وعكرت الأجواء بين تونس و باريس الى حد كبير , فنجح بورقيبة مرة أخرى في استغلال تفاقم الأحداث على الحدود بطريقة جعلت الضغط يتزايد عن الحكومة الفرنسية اذ أن الحوادث المستمرة في تونس تم تقديمها أمام الرأي العام الفرنسي وخاصة أمام الأمم المتحدة كخرق لبروتوكول الاستقلال يوم 20 مارس 1956م فضلا على ذلك ساعدت بورقيبة في ذلك الوقت الهشاشة المتزايدة للوضع السياسي الداخلي في فرنسا اذ أن جزءا على الأقل من الحكومات الفرنسية المتعاقبة بسرعة كانت منفتحة نسبيا ازاء قضايا التحرر من الاستعمار[2].

[1]– فيرنرروف: المصدر السابق، ص 170.

[2]– المصدر نفسه، ص 172.

رغم ذلك كان على هذه الحكومات أن تتصرف بحذر لتحقيق نواياها لأنها كان يمارس عليها ضغط قوي من طرف اليمين والعسكريين المحاربين في الجزائر نظرا لإخلاء القواعد الفرنسية في تونس وخاصة في المناطق على الحدود التونسية الجزائرية، فقدمت الحكومة التونسية خطة تضمنت مراحل نصت على اجراء مفاوضات بين فرنسا وجبهة التحرير الوطني الجزائرية بمشاركة المغرب وتونس وكان الهدف منها تفادي مناقشة القضية الجزائرية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة:

- الدخول في مفاوضات ضمن الاطار المبين أعلاه قبل بداية المناقشة في الأمم المتحدة.
- في صورة امتناع محتمل لفرنسا بسبب تواصل الأزمة الحكومية عن المشاركة في هذه المفاوضات.
- في حال حصول تعقيدات أثناء المفاوضات يجب التماس المساعي الحميدة لدى الأمين العام للأمم المتحدة أو لدى شخصيات أممية أخرى[1].

فوافقت جبهة التحرير الوطني الجزائرية على هذه المقترحات, لكن لم يلبث جو العلاقات أن تعكر بسبب الحوادث الخطيرة في جانفي 1958م و في 8 فيفري 1958م قامت طائرات فرنسية بشن غارات على قرية ساقية سيدي يوسف ورد بورقيبة على هذا الاعتداء بقطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وبتقديم شكوى لدى مجلس الأمن للأمم المتحدة، فقد تدهورت العلاقات مرات عدة اثر اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين في أكتوبر 1956م، فأثرت حرب الجزائر على العلاقات التونسية الفرنسية وعاشت مناطق الحدود الحرب بكل ويلاتها [2]. وكانت النظرة البورقيبية تركز أكثر على خدمة المصالح القطرية، الا أن استراتيجية الثورة الجزائرية، عرفت كيف تحرز أهدافها وتخدم مصالحها وتتعايش مع هذه السياسة[3].

---

[1]– فيرنر وف: المصدر السابق، ص 180.

[2]– محمد حسن عباس: اتجاهات السياسة التونسية، الجمعية العربية للعلوم السياسية، ع3، القاهرة 1957، ص ص 31-32.

[3]– عبد الله مقلاتي: العلاقات الجزائرية المغاربية والأفريقية ابان الثورة الجزائرية,ج2، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر 2009, ص 3.

2-علاقة تونس بالولايات المتحدة الأمريكية:

قامت فرنسا برفض تقديم المعونة سواء بخصوص الزيادة في عدد الجنود أو تسليح الجنود، وتم تعليل هذا الرفض بأن سوف يكون بإمكانها تمرير الأسلحة التي تحصل عليها الى الثوار الجزائريين، وانطلاقا من هذا مارست فرنسا ضغطا على حلفائها في منظمة حلف الشمال الأطلسي خاصة الو.م.أ و بريطانيا العظمى، هذين البلدين كانت تونس بصدد التفاوض معهما للحصول على أسلحة في أول الأمر كانت الو.م.أ رفضت النزول عند مثل هذه الرغبة التونسية, فاتهم بورقيبة الو.م.أ بأن انتهاجها مثل هذه السياسة تساهم في نشر الشيوعية في البلدان الأفريقية و الآسيوية اذ أنها تضامنا مع فرنسا حليفتها في منظمة حلف الشمال الأطلسي صارت لها بدورها مواقف استعمارية وترمي بحركات التحرر في البلدان الأفريقية و الآسيوية في أحضان الشيوعية، كما قال أن الو.م.أ فقدت مصداقيتها دوليا بسبب سياستها ازاء الجزائر، عندما يكون لها موقفان متباينان من المجر ومصر أو من المجر والجزائر مساندة التوجهات الامبريالية التي مازالت متواجدة في الغرب من طرف الو.م.أ لابد أنها بحكم النزاع بين الشرق والغرب ستكون لها عواقب وخيمة بالنسبة الى المصالح الآجلة للسياسة الغربية[1].

نظرا للموقف الرافض الذي بقيت عليه الو.م.أ قبل بورقيبة في آخر الأمر عرضا مصريا بتزويده بالسلاح لكنه صرح علنا أنه يفضل التزود بأسلحة غربية و علل ذلك بأن تونس متضامنة مع الغرب و عليها أن تحرص على أن تتعكر علاقاتها معه فأيدت الو.م.أ نظرية بورقيبة القائلة بأن تونس بوصفها دولة مستقلة لها الحق في اقتناء السلاح و أنها في صورة امتناع القوى الغربية عن تزويدها به, تستطيع الحصول عليه من دولة أخرى[2].

[1]- ناهد الدسوقي: المرجع السابق, ص 212.

[2]- علي المحجوبي: العالم العربي الحديث و المعاصر, مرجع سابق, ص 186.

وصل التزويد الأول بالأسلحة الأمريكية في نوفمبر الى تونس وأثار نقاشا حادا لدى الرأي العام الفرنسي واستطاع بورقيبة الحصول على عتاد حربي غربي سلح به هذا الجيش[1].

بالإضافة الى هذا كانت الو.م.أ بجانب بورقيبة عند معارك الاستقلال و بناء الدولة, وانجاز التنمية, وعندما تعرضت ساقية سيدي يوسف للاعتداء و عند خوض معركة بنزرت, كن يستعين بها على فرنسا فهي الوحيدة القادرة على الضغط عليها[2].

المبحث الثالث: بورقيبة و الدولة الحديثة

الدولة التي بناها الحبيب بورقيبة دينها الاسلام و لغتها العربية وهي دولة تونسية, عروتها الوثقي الوطن و يتمتع فيها بحق المواطنة كل تونسي بغض النظر عن دينه أو جنسه، بالرغم من أن الأغلبية الساحقة من التونسيين مسلمون عرب، ونظامها جمهوري ألغي فيه حكم البايات الذي سلم البلاد لقمة سائغة لفرنسا التي احتلتها، واستعمرتها وفرضت وجودها فيها طوال ثلاثة أرباع قرن[3].

وهي دولة ديمقراطية يحكمها رئيس ينتخبه الشعب رجالا ونساء، انتخابا حرا مباشرا، ويتولى الوظيفة التشريعية فيها نواب منتخبون، حكمها رئاسي، يجمع فيها الرئيس صلاحيات واسعة، ويتمتع بنفوذ شبه مطلق، وقد كان بورقيبة يرى أن المجتمعات العربية النامية في حاجة الى سلطة متمكنة لضمان الاستقرار والبناء والتواصل، ويحتاط من التجربة البرلمانية في فرنسا التي تميزت بالانحلال والفوضى وهي مثال لا يحتذى، وقد شجعت الفتنة اليوسفية، وما أحدثته من رجات في شخصيته، وما أبرزته من جمود، وتنكر وانسياق مع العاطفة

[1]– علي المحجوبي: مرجع سابق، ص 186.

[2]– الهادي بكوش: شهادات على الاستعمار في تونس والجزائر والمغرب، الجزائر، 2013، ص 174.

[3]– الهادي بكوش: المصدر السابق، ص165.

العمياء، على اختيار حكم قوي، وتخضع الدول البورقيبية لدستور ما خالفته قط، وما خرجت عن اطاره، وقد تدخل عليه التنقيحات اللازمة من حين لآخر كلما دعت الحاجة الى ذلك[1].

الدولة عند بورقيبة ترتكز على وحدة وطنية يكون فيها الشعب موحدا، والحزب واحد، و القيادة واحدة، والزعيم واحد من ذلك أنه لم يسكت، عند الاستقلال الداخلي، عن انحياز قيادة الاتحاد العام للفلاحة التونسية الى رأي بن يوسف، بل عمل على ابعادها وانشاء منظمة جديدة تحل مكانها.

ولم يقبل النزعة الاستقلالية التي ظهرت عند أحمد بن صالح الأمين العام للاتحاد العام التونسي للشغل, لما تجرأ على منافسة حزبه، وجرده من مسؤولياته وأبعده، وشجع أحمد التليلي على خلافته و لم يكتفي بذلك، بل ودفع الحبيب عاشور الى تأسيس منظمة شغلية جديدة منافسة هي الاتحاد التونسي للشغل، وتصدى لعاشور عندما سهل هذا الأخير لشاب معاد للحزب احتلال مواقع قيادية في الاتحاد، وتحالف مع قوى داخل النظام وخارجه للتأثير عليه في اختيار خليفته[2].

[1]– الهادي بكوش: المصدر السابق، ص166.

[2]– المصدر نفسه، ص 166.

خاتمة

- وكخلاصة القول نستنتج ان تونس تتمتع بموقعها الاستراتيجي الهام من حيث السهول والاقاليم والمناخ، وادى ذلك الى خضوعها تحت الحماية الفرنسية.
- سيطرة فرنسا على اقتصاد تونس وحصولها على الامتيازات، وبهذا لم يبقى امام الحكومة الفرنسية برئاسة جول فيري غير الترقب والانتظار وقد اجبر الباي على توقيع المعاهدة والتي عرفت باسم معاهدة باردو في 12 ماي 1881م.
- ادت هذه الحماية اثارتمثلت في سلب السيادة الوطنية، فتح ابواب الهجرة الى تونس امام الاوروبيين، وتدعيم سياسة الايستطان بالاستيلاء على املاك الدولة، منح الجنسية الفرنسية لجميع الاوروبيين في تونس، استحواء الاجانب على قطاع التجارة وحصر التعليم الجامعي في ابناء الاوروبيين، استيلاء الفرنسيين بالوظائف والوزارات الهامة بعد الغاء الوزارات الوطنية.
- ان الشعب التونسي استطاع ان يقف منذ البدايات الاولى للاحتلال الفرنسي الذي لازمه، والذي حاول طمس هويته الوطنية التونسية من خلال مجموعة من المخططات الاستعمارية، فكان الشعب التونسي وقف في وجه تلك الممارسات عن طريق الكفاح المسلح في البداية ثم الكفاح السياسي.
- ظهور النشاط السياسي في تونس مبكرا، وهذا بفضل نخبة وطنية والتي بدا نشاطها في شكل حركات وجمعيات لتتطور بعد الحرب العالمية الاولى الى احزاب سياسية والمتمثل في الحزب الحر الدستوري.
- عودة النشاط السياسي في الثلاثينيات، حيث عاد الحزب الحر الدستوري من جديد والذي اشتمل على مختلف التيارات الا ان هذا الالتام لم يدم طويلا حيث انشق الحزب الى تيارين مختلفين سنة 1934م التيار الاول بزعامة عبد العزيز الثعالبي و التيار الثاني بزعامة لحبيب بورقيبة فهذا الاخير استطاع ان يجعل له قاعدة شعبية التفت حوله واصبح هو القائد لهذا الحزب والذي كان اتجاهه في البداية اتجاها استقلاليا الا انه تعرض للنفي والسجن من طرف السلطات الاستعمارية.

- اما نشاطه اثناء الحرب العالمية بعد اطلاق سراحه تغيرت سياسته اتجاه فرنسا ما يعرف بسياسة المراحل، حيث اعتمد بورقيبة في تلك الفترة على التعريف بالقضية التونسية للمجتمع العربي خاصة في المشرق العربي والمجتمع الدولي وزيارتو الى عدة دول عربية وكذلك الى الولايات المتحدة الامريكية، فهذه الرحلات حقق من خلالها بورقيبة بداية الاستقلال الذاتي سنة1955م، والذي خلق معارضة داخل الحزب الدستوري وقاد هذه المعارضة صالح بن يوسف، الذي رفض اتفاقية الحكم الذاتي فتحول الخلاف من الحزب الى الشارع وظهور مايعرف بالزب البورقيبي اليوسفي والذي انتهى لصالح بورقيبة المدعوم من فرنسا و نالت تونس استقلالها في 20 مارس 1956م.
- بعد الاستقلال تمكن بورقيبة بدعم من المجلس التاسيسي اعلان النظام الجمهوري وعين الحبيب بورقيبة رئيسا للجمهورية وذلك اول رئيس لتونس المستقلة وبداية مهمته لبناء اسس الدولة الحديثة.
- اسهامه في النهوض بتونس في جميع المجالات خاصة حقوق المراة.
- استطاع ان يحقق الاستقلال الاقتصادي بعد ان كان مرتبطا بفرنسا.
- لقد مثل بورقيبة باعتباره قائد النضـــال ورئيس الدولة التونيسية احد اهم الرموز المغربية التي دعمت القضية الجزائرية سياسيا وعسكريا.
- تميزت سياسة بورقيبة اتجاه الثورة الجزائرية بالغموض ازاء بعض القضايا حيث كان داعما لها تارة وسبب في تازم قضايا اخرى.
- تمثل الدعم العسكري للقضية الجزائرية من خلال عقد اتفاقيات تمرير الاسلحة وفتح الحدود.
- فتح بورقيبة الحدود الجزائرية امام اللاجئين الجزائريين وسمح لهم بممارست نشاطات على ارضه.

- ان مواقف بورقيبة كانت في مجملها واقعة تحت التاثير الفرنسي الذي يطبق سياسة الاغراء لفصل القضية الجزائرية عن تونس.
- فشل سياسة فرنسا في عزل الثورة الجزائرية على المغرب العربي، فقد استطاعت البلدان الشقيقة ان تبقى على وحدة المغرب العربي رغم اقامة مناطق محرمة من الاسلاك واضطهاد الشعب الجزائري والتحرش بسيادة هذه البلدان لكن هذا مازاد من مظاهر التلاحم الشعبي والحكومي مع الثورة الحزائرية.

الملاحق

الملحق رقم 01: نص معاهدة باردو 12 ماي 1881م.[1]

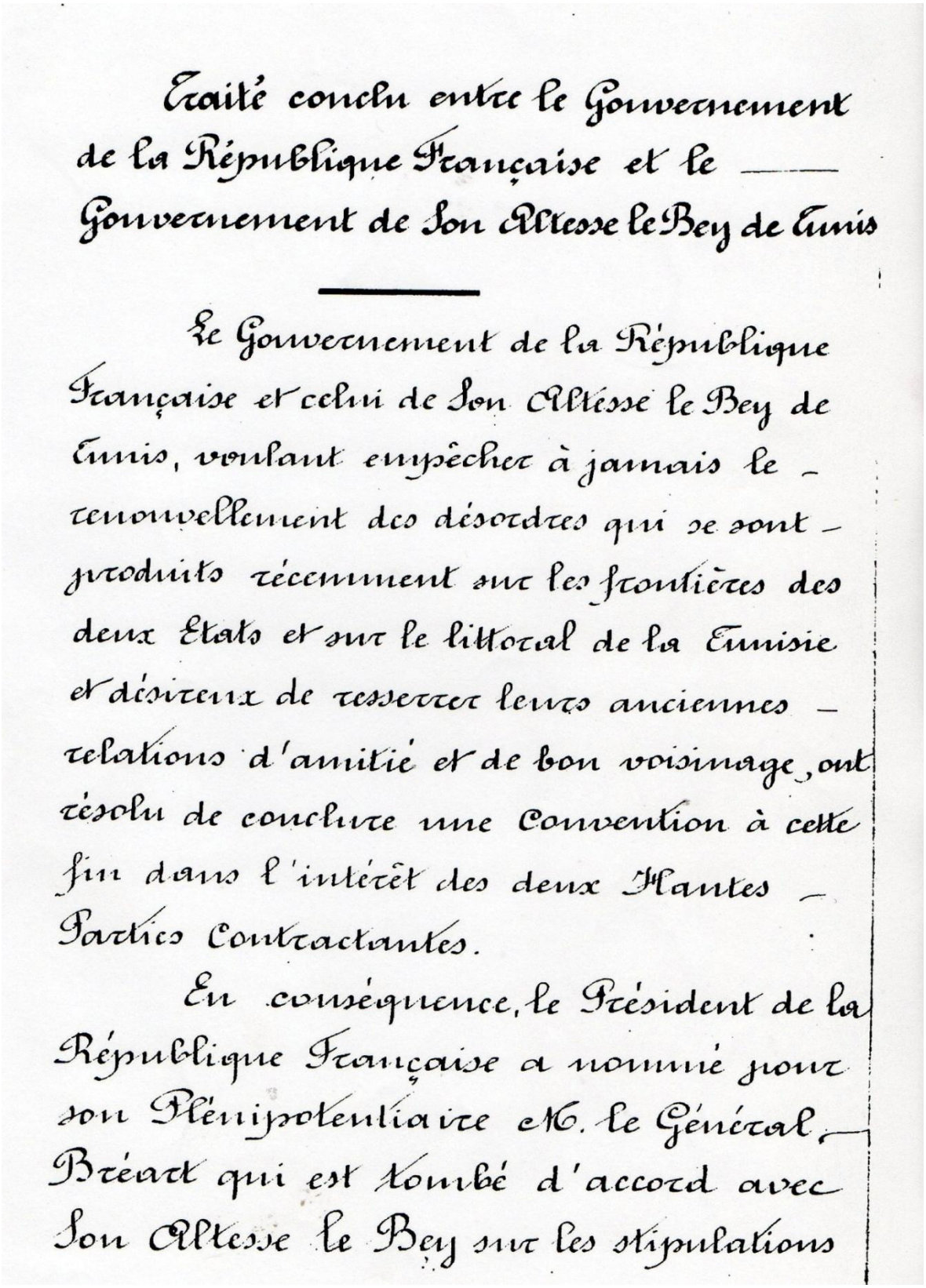

Traité conclu entre le Gouvernement de la République Française et le Gouvernement de Son Altesse le Bey de Tunis

Le Gouvernement de la République Française et celui de Son Altesse le Bey de Tunis, voulant empêcher à jamais le renouvellement des désordres qui se sont produits récemment sur les frontières des deux Etats et sur le littoral de la Tunisie et désireux de resserrer leurs anciennes relations d'amitié et de bon voisinage, ont résolu de conclure une Convention à cette fin dans l'intérêt des deux Hautes Parties Contractantes.

En conséquence, le Président de la République Française a nommé pour son Plénipotentiaire M. le Général Bréart qui est tombé d'accord avec Son Altesse le Bey sur les stipulations

[1]- Doss, gare d'algerie relations Franco-tunise A47, 26 H19, 1956-1958.

suivantes :

Article 1er.

Les Traités de paix, d'amitié et de commerce et toutes autres conventions existant actuellement entre la République Française et Son Altesse le Bey de Tunis sont expressément confirmés et renouvelés.

Article 2e.

En vue de faciliter au Gouvernement de la République Française l'accomplissement des mesures qu'il doit prendre pour atteindre le but que se proposent les Hautes Parties Contractantes, Son Altesse le Bey de Tunis consent à ce que l'Autorité Militaire Française fasse occuper les points qu'elle jugera nécessaires pour assurer le rétablissement de l'ordre et la sécurité de la frontière et du littoral. Cette occupation cessera lorsque les Autorités Militaires Française et Tunisienne [1]

[1]- op cit

auront reconnu, d'un commun accord, que l'Administration locale est en état de garantir le maintien de l'ordre.

Article 3e.

Le Gouvernement de la République Française prend l'engagement de prêter un constant appui à Son Altesse le Bey de Tunis contre tout danger qui menacerait la personne ou la dynastie de Son Altesse ou qui compromettrait la tranquillité de Ses Etats.

Article 4e.

Le Gouvernement de la République Française se porte garant de l'exécution des Traités actuellement existants entre le Gouvernement de la Régence et les diverses Puissances Européennes.

Article 5e.

Le Gouvernement de la République Française sera représenté auprès de Son Altesse

[1]- op cit.

le Bey de Tunis aura un Ministre Résident qui veillera à l'exécution du présent acte et qui sera l'intermédiaire des rapports du Gouvernement Français avec les Autorités Tunisiennes pour toutes les affaires communes aux deux Pays.

Article 6e.

Les Agents Diplomatiques et Consulaires de la France en pays étrangers seront chargés de la protection des intérêts Tunisiens et des nationaux de la Régence. En retour, Son Altesse le Bey s'engage à ne conclure aucun acte ayant un caractère international sans en avoir donné connaissance au Gouvernement de la République Française et sans s'être entendu préalablement avec lui.

Article 7e.

Le Gouvernement de la République Française et le Gouvernement de Son Altesse

[1]- op cit.

le Bey de Tunis se réservent de fixer, d'un commun accord, les bases d'une organisation financière de la Régence qui soit de nature à assurer le service de la Dette publique et à garantir les droits des créanciers de la Tunisie.

Article 8e.

Une contribution de guerre sera imposée aux tribus insoumises de la frontière et du littoral. Une convention ultérieure en déterminera le chiffre et le mode de recouvrement dont le Gouvernement de Son Altesse le Bey se porte responsable.

Article 9e.

Afin de protéger contre la contrebande des armes et des munitions de guerre les possessions Algériennes de la République Française, le Gouvernement de Son Altesse le Bey de Tunis s'engage à prohiber toute introduction d'armes ou de munitions

[1]- op cit.

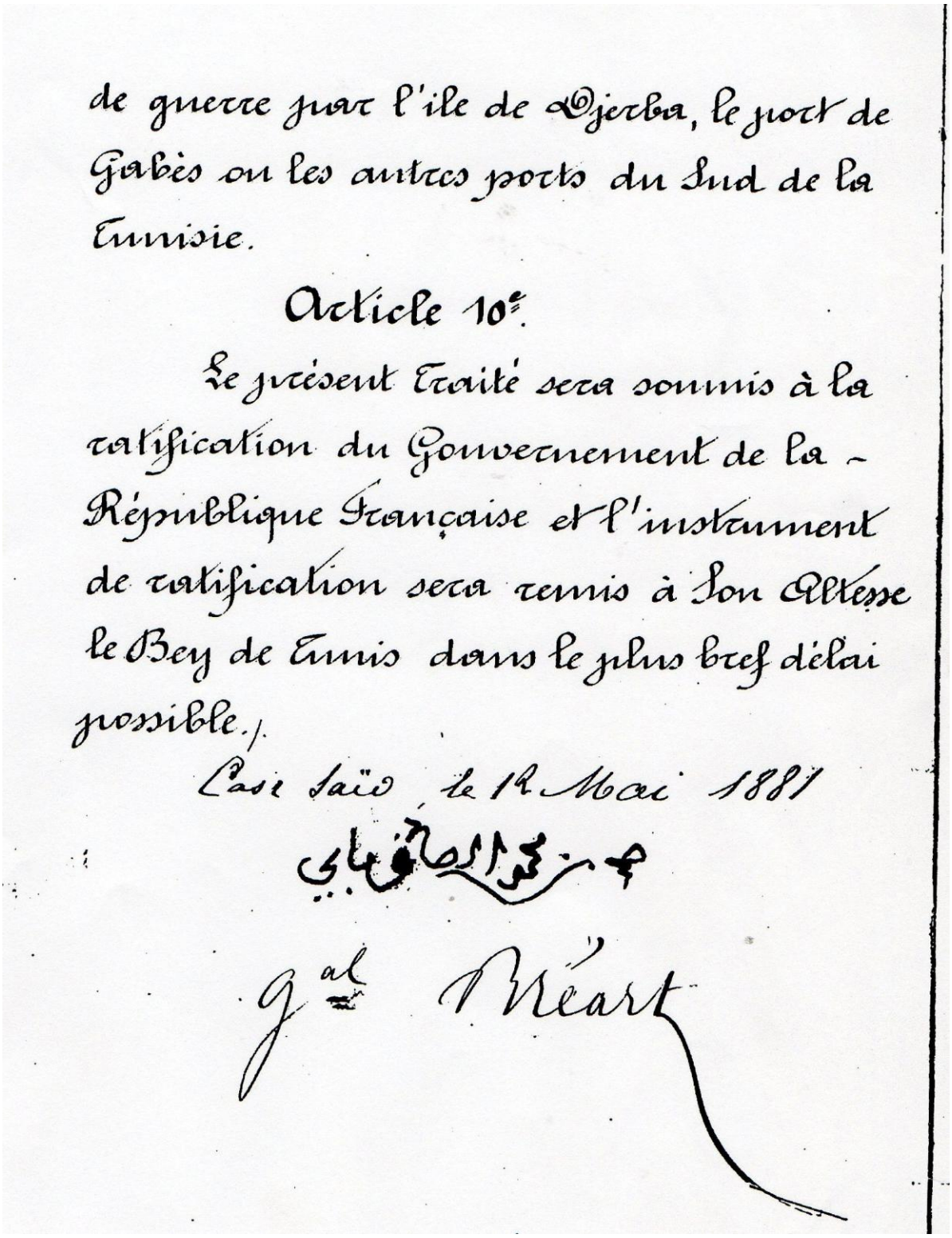

de guerre jusr l'ile de Djerba, le jusr de Gabès ou les autres ports du Sud de la Tunisie.

Article 10e.

Le jrésent Traité sera soumis à la ratification du Gouvernement de la République Française et l'instrument de ratification sera remis à Son Altesse le Bey de Tunis dans le plus bref délai possible./.

Casr Saïd le 12 Mai 1881

محمد الصادق باي

Gal Bréart

[1]- op cit.

الملحق رقم 02: إتفاقية المرسى[1]

«اتفاقية المرسى»

لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجّهة إلى تحسين الأحوال الداخليّة بالمملكة التونسيّة وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة 1881، وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق أغراض سموّه توثيقا لعرى المودّة بين القطرين العامرين، اتّفق الطرفان على عقد اتّفاق لتحقيق هذا الغرض، واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك سمو بيار بول كامبون وزيره المقيم بتونس الذي قدم أوراق اعتماده لعقد الاتّفاقيّة المحدّدة في البنود الآتية :

البند الأول : لمّا كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهّل للحكومة الفرنسيّة إتمام حمايتها، تكفّل بإدخال الإصلاحات الإداريّة والعدليّة والماليّة التي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إدخالها.

البند الثاني : تضمن الحكومة الفرنسية قرضا يعقده سمو الباي لتحويل أو لدفع الدين الموحّد البالغ 125 مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن أن يتجاوز 17.550.000 فرنك، ولكنّها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك، وقد تعهّد سمو الباي المعظم بأن لا يعقد قرضا في المستقبل لحساب المملكة التونسيّة دون إذن سابق من الحكومة الفرنسيّة.

البند الثالث : يخصّص لسموّ الباي المعظم من مداخيل المملكة. أوّلا: المبالغ اللاّزمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنته فرنسا، ثانيا : مخصّصات سموّ الباي وقدرها مليونان من الريالات التونسية (أي 1.200.000 فرنك) وما فضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع : هذه الاتفاقيّة مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة في 12 ماي سنة 1881 فيما يحتاج منها إلى التأكيد والتكميل، ولاتتغيّر بها الأنظمة التي سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربيّة.

البند الخامس : تعرض هذه الاتفاقيّة على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق إلى سمو الباي المعظم في أقرب وقت ممكن. إيذانا بصحّة ما تقدّم حرّرت هذه الاتفاقيّة وختمها الموقّعان بختميهما.

وكتب بالمرسى في 8 جوان 1883

الإمضاء : على باي /«بول كامبون»

[1]– خليفة الشاطر: الحركة الوطنية ودولة الإستقلال، المرجع السابق، ص 23.

الملحق رقم 03: مؤتمر دار سليم 1948م.[1]

[1] –Ahmed khaled: hédi Nouira parcours d'un intelctuelle militant et homme d'etat en puissance et en acte (histoire d'une vie et d'un époque bilan et ecrits), T1, agreé de l'universite de parise, éd Zakhàref, tunise, p 24.

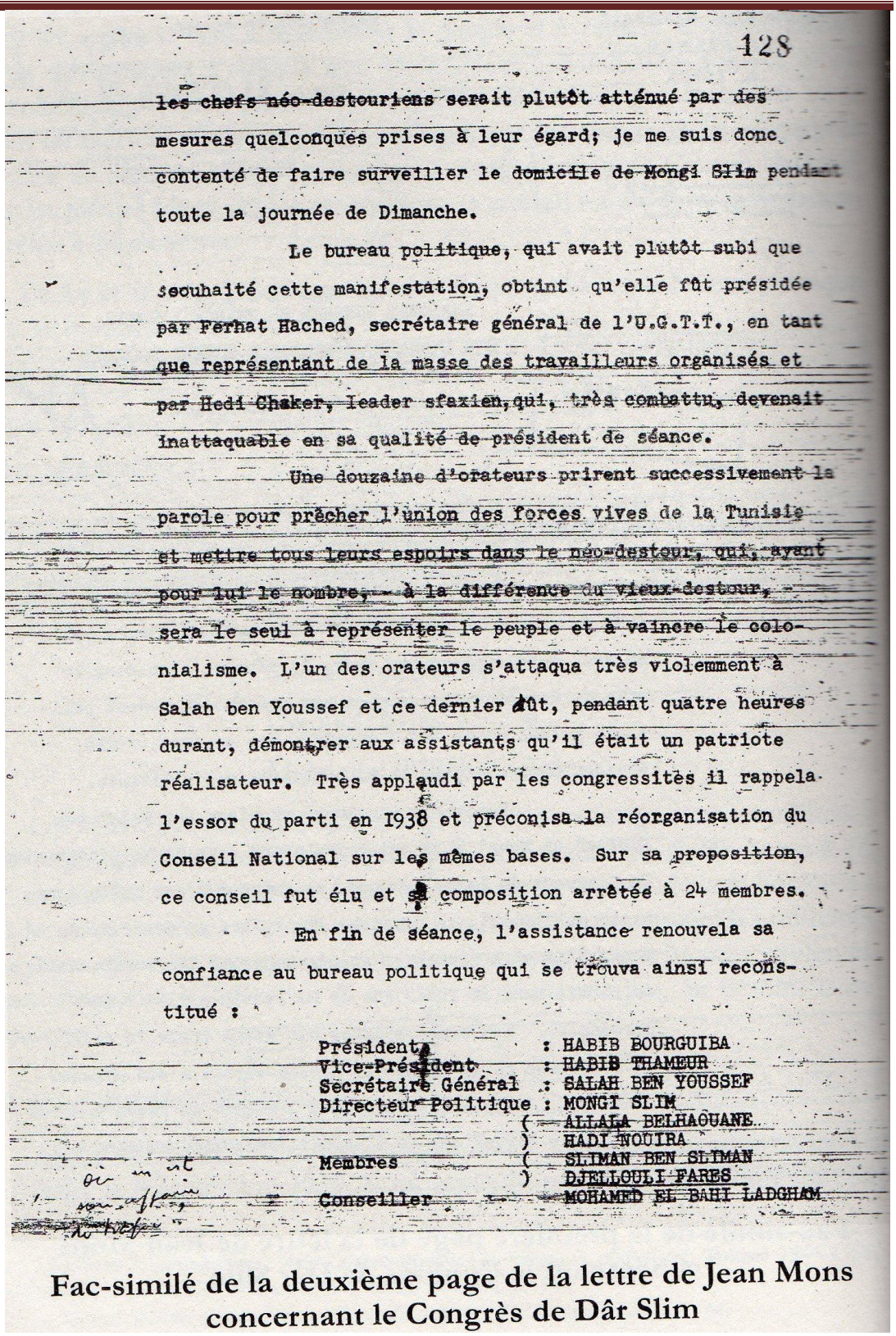

128

les chefs néo-destouriens serait plutôt atténué par des mesures quelconques prises à leur égard; je me suis donc contenté de faire surveiller le domicile de Mongi Slim pendant toute la journée de Dimanche.

Le bureau politique, qui avait plutôt subi que souhaité cette manifestation, obtint qu'elle fût présidée par Ferhat Hached, secrétaire général de l'U.G.T.T., en tant que représentant de la masse des travailleurs organisés et par Hedi Chaker, leader sfaxien, qui, très combattu, devenait inattaquable en sa qualité de président de séance.

Une douzaine d'orateurs prirent successivement la parole pour prêcher l'union des forces vives de la Tunisie et mettre tous leurs espoirs dans le néo-destour, qui, ayant pour lui le nombre, à la différence du vieux-destour, sera le seul à représenter le peuple et à vaincre le colonialisme. L'un des orateurs s'attaqua très violemment à Salah ben Youssef et ce dernier dût, pendant quatre heures durant, démontrer aux assistants qu'il était un patriote réalisateur. Très applaudi par les congressistes il rappela l'essor du parti en 1938 et préconisa la réorganisation du Conseil National sur les mêmes bases. Sur sa proposition, ce conseil fut élu et sa composition arrêtée à 24 membres.

En fin de séance, l'assistance renouvela sa confiance au bureau politique qui se trouva ainsi reconstitué :

Président	:	HABIB BOURGUIBA
Vice-Président	:	HABIB THAMEUR
Secrétaire Général	:	SALAH BEN YOUSSEF
Directeur Politique	:	MONGI SLIM
Membres	(	ALLALA BELHAOUANE
	)	HADI NOUIRA
	(	SLIMAN BEN SLIMAN
	)	DJELLOULI FARES
Conseiller		MOHAMED EL BAHI LADGHAM

Fac-similé de la deuxième page de la lettre de Jean Mons concernant le Congrès de Dâr Slim

1

[1]- Ahmed khaled: op cit, 23.

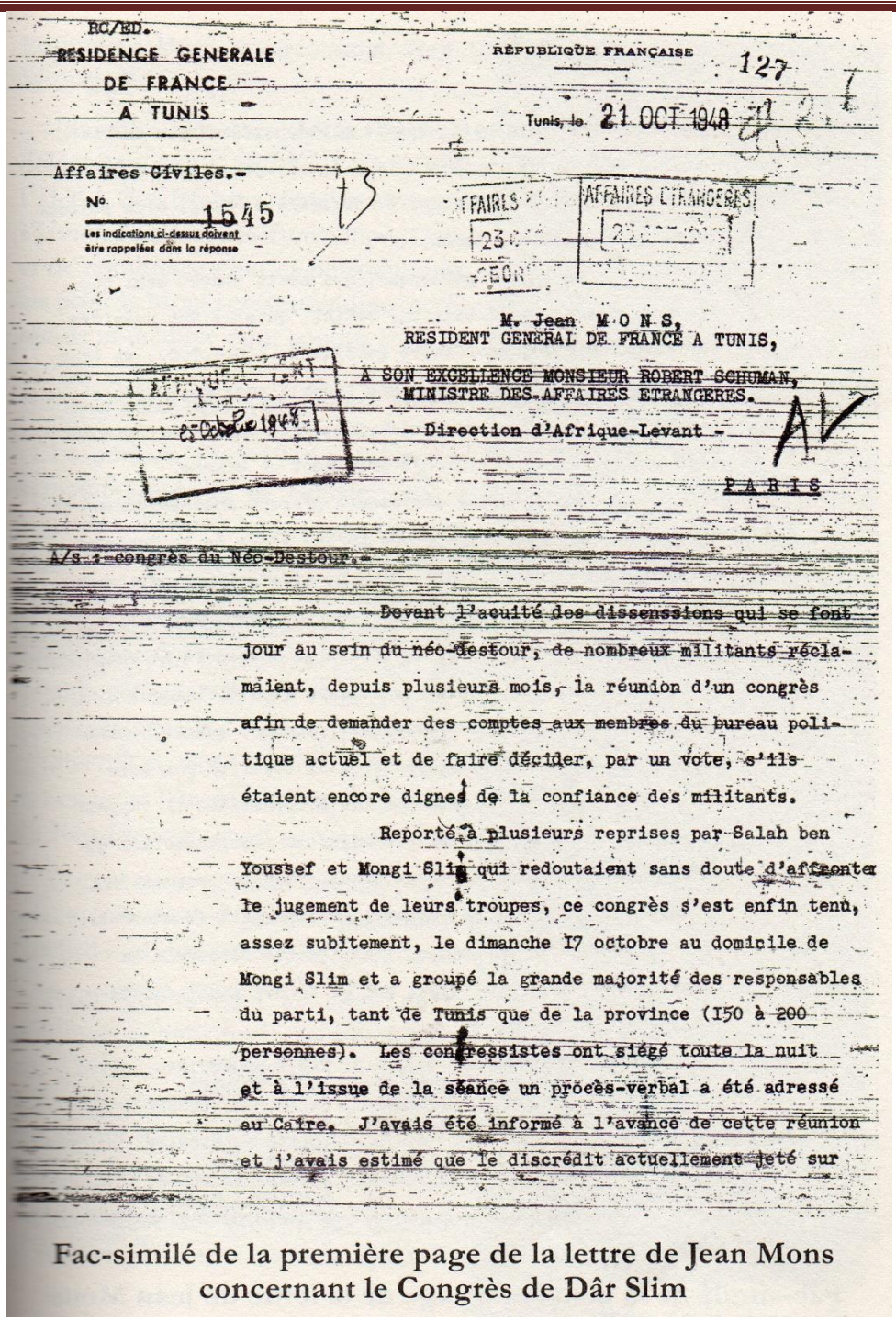

RC/ED.
RESIDENCE GENERALE
DE FRANCE
A TUNIS

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

127

Tunis, le 21 OCT 1948

Affaires Civiles.-

N° 1545

Les indications ci-dessus doivent être rappelées dans la réponse

AFFAIRES ETRANGERES

M. Jean M O N S,
RESIDENT GENERAL DE FRANCE A TUNIS,

A SON EXCELLENCE MONSIEUR ROBERT SCHUMAN,
MINISTRE DES AFFAIRES ETRANGERES.

- Direction d'Afrique-Levant -

PARIS

A/s 1-congrès du Néo-Destour.-

Devant l'acuité des dissenssions qui se font jour au sein du néo-destour, de nombreux militants réclamaient, depuis plusieurs mois, la réunion d'un congrès afin de demander des comptes aux membres du bureau politique actuel et de faire décider, par un vote, s'ils étaient encore dignes de la confiance des militants.

Reporté à plusieurs reprises par Salah ben Youssef et Mongi Slim qui redoutaient sans doute d'affronter le jugement de leurs troupes, ce congrès s'est enfin tenu, assez subitement, le dimanche 17 octobre au domicile de Mongi Slim et a groupé la grande majorité des responsables du parti, tant de Tunis que de la province (150 à 200 personnes). Les congressistes ont siégé toute la nuit et à l'issue de la séance un procès-verbal a été adressé au Caire. J'avais été informé à l'avance de cette réunion et j'avais estimé que le discrédit actuellement jeté sur

Fac-similé de la première page de la lettre de Jean Mons concernant le Congrès de Dâr Slim

الملحق رقم 04: وثيقة من المقيم العام التونسي إلى الحكومة الفرنسية في 17 جويلية 1954م تبين أن الحاكم العام لتونس يخبر رؤساءه في فرنسا أن الشارع التونسي في إشاعة بأن رئيس الحكومة

التونسية التي يشكلها الباي ستكون بقادة دستورية ومن المحتمل أن يكون الهادي نويرة لكن الحقيقة تم تعيين طاهر عما كرئيس للحكومة.[1]

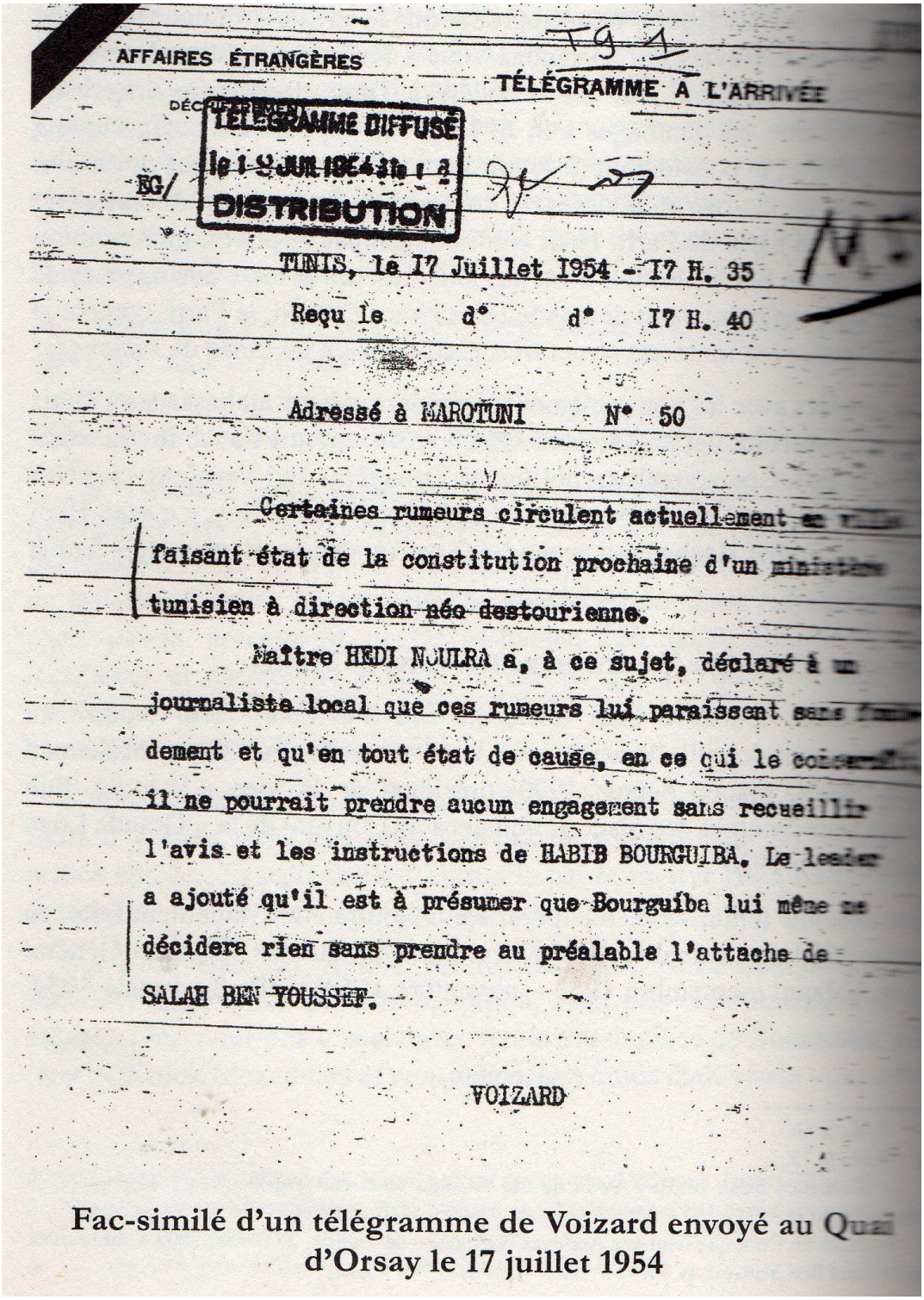

AFFAIRES ÉTRANGÈRES

TÉLÉGRAMME A L'ARRIVÉE

DÉCHIFFREMENT

TELEGRAMME DIFFUSE

le 19 JUIL 1954 à 18 h

EG/ DISTRIBUTION

TUNIS, le 17 Juillet 1954 - 17 H. 35

Reçu le d° d° 17 H. 40

Adressé à MAROTUNI N° 50

Certaines rumeurs circulent actuellement en ville faisant état de la constitution prochaine d'un ministère tunisien à direction néo destourienne.

Maître HEDI NOUIRA a, à ce sujet, déclaré à un journaliste local que ces rumeurs lui paraissent sans fondement et qu'en tout état de cause, en ce qui le concerne, il ne pourrait prendre aucun engagement sans recueillir l'avis et les instructions de HABIB BOURGUIBA. Le leader a ajouté qu'il est à présumer que Bourguiba lui même ne décidera rien sans prendre au préalable l'attache de SALAH BEN YOUSSEF.

VOIZARD

Fac-similé d'un télégramme de Voizard envoyé au Quai d'Orsay le 17 juillet 1954

الملحق رقم 05: رسالة من المنجي سليم إلى الطاهر عمار تبين هذه الرسالة أن المنجي سليم عضو في المفاوضات قام بإرسال رسالة إلى الطاهر عمار رئيس الحكومة التونسية في 25 أكتوبر 1954م وكان

[1] –Ahmed khaled: op cit, 316.

مضمونها حول المراسلات سواءا كتابية أو شفاهية التي كانت تدور بين البلدين وكيفية قدومها أو ذهابها وذلك لتجنب إفشائها وذلك تطو المفاوضات الفرنسية التونسية التي تحدد مستقبل التونسيين كما تحدثت هذه الرسالة المتعلقة بالخبراء و المستشارين الذين قدموا إلى باريس بشأن التفاوض أما قضية الثوار فكانت السلطة الفرنسية تقوم بمشاكل في حق الثوار التونسيين ومطاردتهم فمشكلتهم لا تحل إلا بالطرق السياسية فهذه المشاكل لها إنعكاساتها على المفاوضات كما أن هاته الأخيرة لها إنعكاساتها على قضية الثوار.[1]

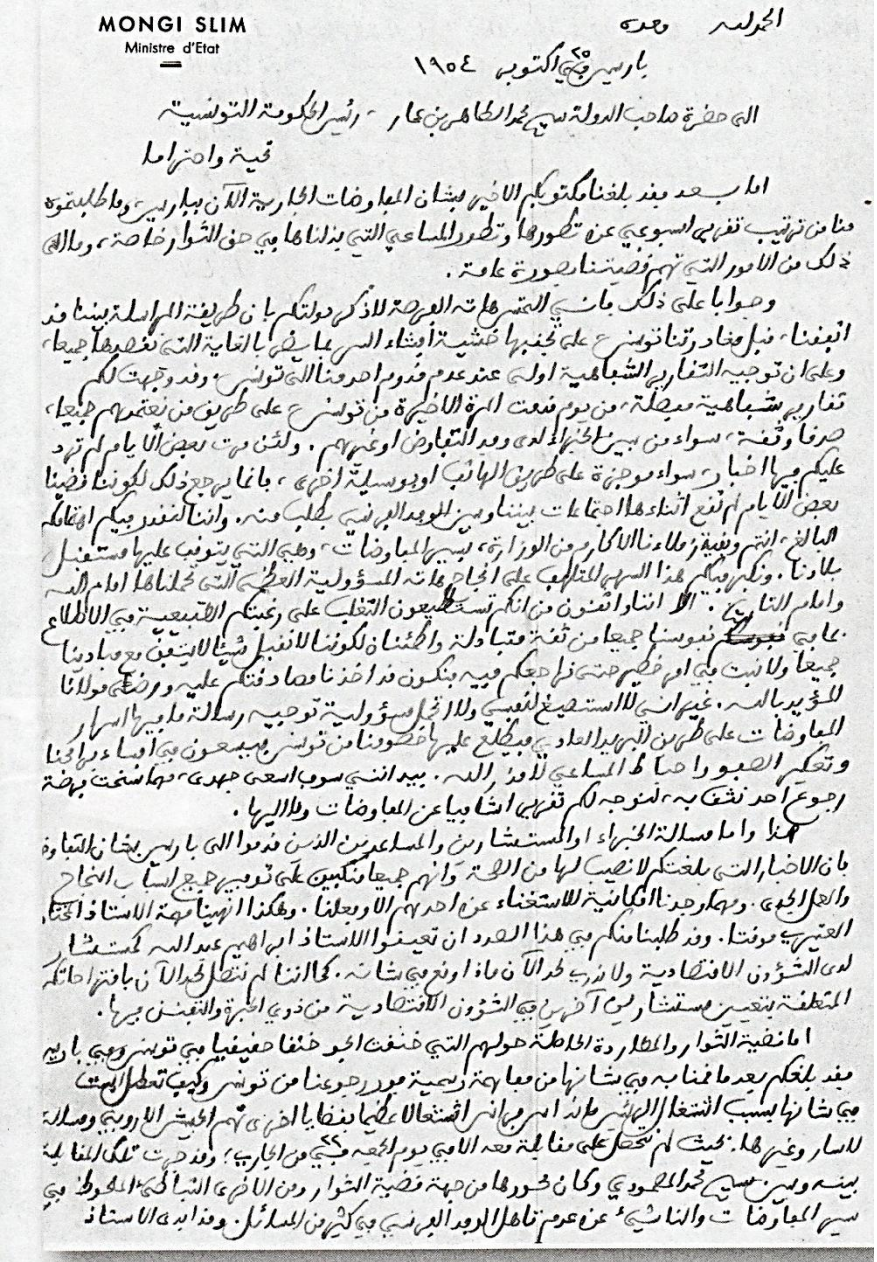

MONGI SLIM
Ministre d'Etat

باريس في ٢٥ أكتوبر ١٩٥٤

الى حضرة صاحب الدولة سي محمد الطاهر بن عمار - رئيس الحكومة التونسية

تحية واحتراما

اما بعد فقد بلغنا مكتوبكم الاخير بشان المفاوضات الجارية الآن بباريس وطلبتموه منا من ترتيب تقرير مسهب عن تطورها وتصور المساعي التي بذلناها في هذا الشان خاصة، وما الى ذلك من الامور التي تهمكم وتهمنا صورة عامة.

وجوابا على ذلك فاني الحتم هاته الفرصة لاذكر دولتكم بان طريقة المراسلة بيننا قد اتبعناها قبل مغادرتنا تونس على تجنبها خشية افشاء السر بما يضر بالغاية التي نقصدها جميعا، وعلى ان توجيه التقارير الشفاهية اولى عند عدم قدومنا الى تونس. وقد وجهت لكم تقارير شفاهية مفصلة من يوم قدمت المرة الاخيرة من تونس على طريق من نعتمدهم جميعا، صرفا وثقة، سواء من بين اعضاء الوفد او غيرهم. ولئن مرت بعض الايام لم ترد عليكم فيها اخبار، سواء موجهة على طريق الهاتف او بوسيلة اخرى، فانما يرجع ذلك لكوننا قضينا بعض الايام لم نقع اثناءها اجتماعات بيننا وبين الوفد الفرنسي لطلب منه. وانا لنقدر فيكم اشغالكم البالغ، التي وظيفة رؤساء الاكبر من الوزراء، بسير المفاوضات، وهي التي يتوقف عليها مستقبل بلادنا. ونكبر فيكم هذا السهر المتواصل على انجاح مهامه المسؤولية العظمى التي تحملناها امام الله وامام التاريخ. الا انا نثق فيكم من انكم تستطيعون التغلب على نفوسكم التي هي اعز الاشياء علينا جميعا من ثقة متبادلة واطمئنان لكوننا لا نقبل شيئا لا يتفق ومبادئنا جميعا ولا نأبى في امر خطير حتى نرجع فيه بكم فنكون قد اخذنا وصادفنا منكم علما ورضى مولانا للؤيد بالله. غير اني لا استوفي للغيبي وللاجل مسؤولية توجيه رسالة ما يبرز المعاوضات على طريق البريد العادي فيطلع عليها مقصودنا من تونس يبعثون في اثناء ذلك وتعكر الصفو واحباط المساعي لا قدر الله. بيد انني سوف اسعى جهدي فيما سنحت فرصة رجوع احد نثق به، لتوجيه لكم تقريرا شفاهيا عن المعاوضات وما اليها.

هذا واما مسالة الخبراء او المستشارين والمساعدين الذين قدموا الى باريس بشان التعاون بان الاخبار التي بلغتكم لا نصيب لها من الصحة وانهم جميعا منكبون على توجيه جميع اسباب النجاح والعمل الجدي. ومهما يكن فانا نستغني عن احدهم الا وبعلمنا. وهكذا انهينا مهمة الاستاذ احمد العتيري مؤونتنا. وقد طلبنا منكم في هذا الصدد ان تعينوا الاستاذ ابراهيم عبد الله كمستشار لدى الشؤون الاقتصادية ولا نرى الآن ما نزيد عليه شيئا. كما اننا لم نتصل الى الآن بافتراحاته المتعلقة بتعيين مستشارين آخرين في الشؤون الاقتصادية من ذوي الخبرة والتفنن فيها.

اما قضية الثوار والمطاردة الخاطئة هولهم التي ضغطنا اخيرا ضغطا عنيفا في تونس وفي باريس فقد بلغكم بعد ما قمنا به في شانها من معاجة رسمية مرارا عديدة من تونس وكيف تعطل البت في شانها بسبب الشغل الهائل طالما ابرمنا اتفاقا على انهاء قضايا اخرى هم الجيش الاوربي وصدمة الاسار وغيرها. حيث لم نتحصل على مقابلة بعد الا في يوم الجمعة ٢٢ من الجاري، وقد جرت تلك المقابلة بينه وبين سي محمد المقدي وكان محورها من جهة قضية الثوار ومن الاخرى النشاط في سير المفاوضات والناشئ عن عدم تأهل الوفد الفرنسي في كثير من المسائل. وقد ابدى الاستاذ

Facsimilé d'une lettre de Mongi Slim à Tahar Ben Ammar, 25 octobre 1954.

[1] –Noureddine DOUGUI : Mongi Slim l'homme des missions difficiles 1908-1969, universite de la manouba instuite supérieur d'histoire de la tunise contoporaine, tunise, 2017, p 165.

تر: الرسالة التي وجهها المنجي سليم إلى الطاهر بن عمار.[1]

من المنجي سليم إلى الطاهر بن عمار

الحمد لله وحده

باريس في 25 أكتوبر 1954

إلى حضرة صاحب الدولة سي محمد الطاهر بن عمار رئيس الحكومة التونسية

تحية واحتراما

أما بعد فقد بلغنا مكتوبكم الأخير بشأن المفاوضات الجارية الآن بباريس وما طلبتموه منا من ترتيب تقرير أسبوعي عن تطورها وتطور المساعي التي بذلناها في حق الثوار خاصة، وما إلى ذلك من الأمور التي تهم قضيتنا بصورة عامة.

وجوابا على ذلك فإني ألتمس هاته الفرصة لأذكّر دولتكم أن طريقة المراسلة بيننا قد اتفقنا، قبل مغادرتنا تونس على تجنبها خشية إفشاء السر بما يضر بالغاية التي نقصدها جميعا، وعلى أن توجيه التقارير الشفاهية أولى عند قدوم أحد منا إلى تونس وقد وجهت لكم تقارير شفاهية مفصلة، من يوم قدمت المرة الأخيرة من تونس عن طريق من تعتمدهم جميعا، صدقا وثقة، سواء موجزة من بين الخبراء لدى وفد التفاوض أو غيرهم. ولئن مرت بعض الأيام لم ترد عليكم فيها أخبار، سواء موجزة على طريق الهاتف أو بوسيلة أخرى فإنما يرجع ذلك لكوننا قضينا بعض الأيام لم تقع اثناءها اجتماعات بيننا وبين الوفد الفرنسي بطلب منه. وإننا لنقدر فيكم اهتمامكم البالغ، أنتم وبقية زملاءنا الأكارم من الوزارة، بسير المفاوضات، وهي التي يتوقف عليها مستقبل بلادنا. ونكبر فيكم هذا السهر المتلهف على إنجاح هاته المسؤولية العظمى التي تحملناها أمام الله وأمام التاريخ. إلا أننا واثقون من أنكم تستطيعون التغلب على رغبتكم الطبيعية في الاطلاع بما في نفوسنا جميعا من ثقة متبادلة واطمئنان لكوننا لا نقبل شيئا لا يتفق مع مبادئنا جميعا ولا نبت في أمر خطير حتى نراجعكم فيه فنكون قد أخذنا مصادقتكم عليه ورضى مولانا المؤيد بالله. غير أني لا أستسيغ لنفسي ولا أتحمل مسؤولية توجيه رسالة ما فيها إفشاء أسرار المفاوضات عن طريق البريد العادي فيطلع عليها خصومنا من فرنسيين

[1]- op cit, p 65.

فيسعون في إفشاء برامجنا وتعكير الصفو وإحباط المساعي لا قدر الله. بيد أنني سوف أسعى جهدي، كلما سنحت فرصة رجوع أحد نثق به، لنوجه لكم تقريرا شافيا عن المفاوضات وما إليها.

هذا وأما مسألة الخبراء أو المستشارين والمساعدين الذين قدموا إلى باريس بشأن التفاوض فإن الأخبار التي بلغتكم لا نصيب لها من الصحة وأنهم جميعا منكبين على توفير جميع أسباب النجاح والعمل الجدي ومهما وجدنا إمكانية الاستغناء عن أحدهم إلا فعلنا. وهكذا أنهينا مهمة الأستاذ مختار العتيري مؤقتا. وقد طلبنا منكم في هذا الصدد أن تعينوا الأستاذ إبراهيم عبد الله كمستشار لدى الشؤون الاقتصادية ولا ندري لحد الآن ماذا وقع في شأنه. كما أننا لم نتصل لحد الآن باقتراحاتكم المتعلقة بتعيين مستشارين آخرين في الشؤون الاقتصادية من ذوي الخبرة والتفنن فيها.

أما قضية الثوار والمطاردة الحاصلة حولهم التي خنقت الجو خنقا حقيقيا في تونس وفي باريس فقد بلغكم بعد ما قمنا به في شأنها من مفاهمة رسمية فور رجوعنا من تونس وكيف تعطل البحث في شأنها بسبب اشتغال الرئيس منداس فرانس اشتغالا عظيما بقضايا أخرى تهم الجيش الأوروبي ومسألة لاسار وغيرها بحيث لم نتحصل على مقابلة معه إلا في يوم الجمعة 22 من الجاري وقد جرت تلك المقابلة بينه وبين سي محمد المصمودي وكان محورها من جهة قضية الثوار ومن الأخرى التباكي الملحوظ في سير المفاوضات والناشئ عن عدم تأهل الوفد الفرنسي في كثير من المسائل. وقد أبدى الأستاذ المصمودي بغاية الحذق والصدق نظريتنا المبنية على الواقع المستندة على أن بعض السلط الفرنسية في تونس هي المسؤولة على إحداث المشاكل وتعكيرها بمطاردتهم ومطاردة السكان المدنيين بما لا يجعل مجالا للثقة وحسن الاستعداد الضروريين لحل المشكلة بما يحفظ الكرامة والشرف. وإن مشكلة الثوار لا تحل إلا بالطرق السياسية الصرفة ولها انعكاس على سير المفاوضات كما للمفاوضات انعكاس على تلك القضية إلا أن الرئيس منداس فرانس كان يعتقد حسب ما بلغه من الأخبار أن الحكومة التونسية لم تساعد على إيجاد الحل. فكان الرد على ذلك بالبيانات الشافية الضافية وقد انتهى الحوار بدون نتيجة إيجابية غير أنه يظهر أن الرئيس منداس قد يتغير موقفه في الأيام القليلة المقبلة.

وسيأتيكم كامل البيان قريبا، أعني آخر الأسبوع عند قدومنا للمجلس الملي أو على لسان السيد عبد العزيز الجلولي آخر هذا الأسبوع إن لم نقدم للمجلس الملي وتأخر ذلك المجلس.

أما نحن فإننا نواصل الاتصالات المختلفة ونعددها قصد إقناع القوم بصحة رأينا والأمل غير منقطع خاصة بعد رواج انعقاد المجلس الملي.

الرجاء من دولتكم أن تبلغوا سيدنا ومولانا أيده الله مع خالص اجلالنا، عاطر تمنياتنا جميعا لبقاءه السعيد وازهار ملكه وسعادة البلاد.

وإلى جميع زملاءنا الأكارم وإلى دولتكم أزكى التحية والسلام.

المنجي سليم

[1]- op cit, p p 66-67.

الملحق رقم 06: الإتفاقيات التونسية الفرنسية إتفاقيات تحتوي على 135 وثيقة وبما أننا إعتمدنا عليها كملحق أخذنا فقط ثلاث ورقات الولى والورقتين الأخيرتين

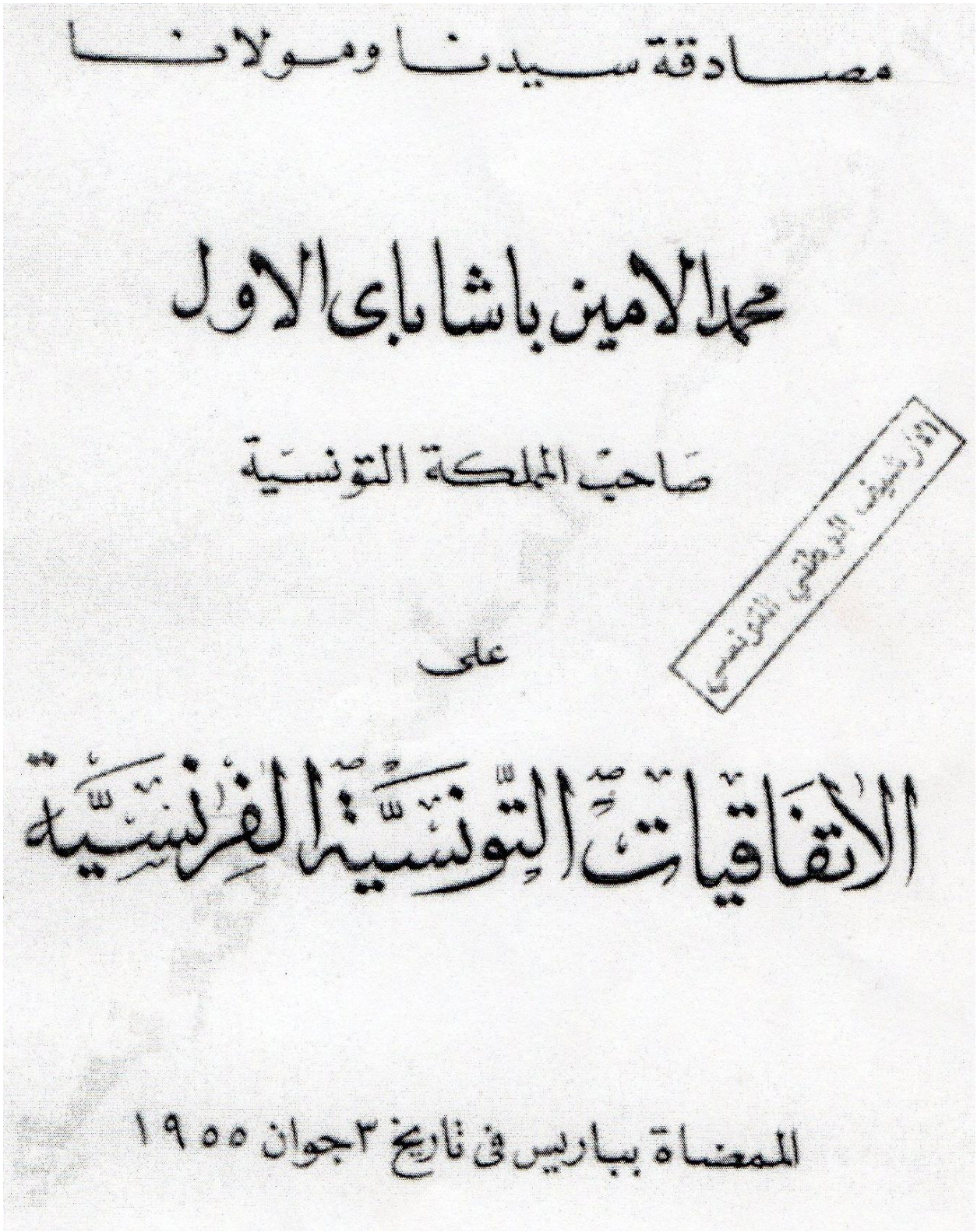
مصادقة سيدنا ومولانا

محمد الامين باشا باي الاول

صاحب المملكة التونسية

الأرشيف الوطني التونسي

على

الاتفاقيات التونسية الفرنسية

الممضاة بباريس في تاريخ ٣ جوان ١٩٥٥

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه

محمد الأمين باشا باي

صاحب المملكة التونسية

سدد الله اعماله ، وبلغه آماله . الى من يقف على امرنا هذا من الخاصة والعامة

وبعد فانه تم التوقيع بباريس في ٣ جوان ١٩٥٥ على الاتفاقيات التونسية الفرنسية المتضمنة اتفاقيات واتفاقات وبروتوكولات اضافية وتبادل مراسلات يأتي نصها الفرنسي وترجمته العربية فيما يلي

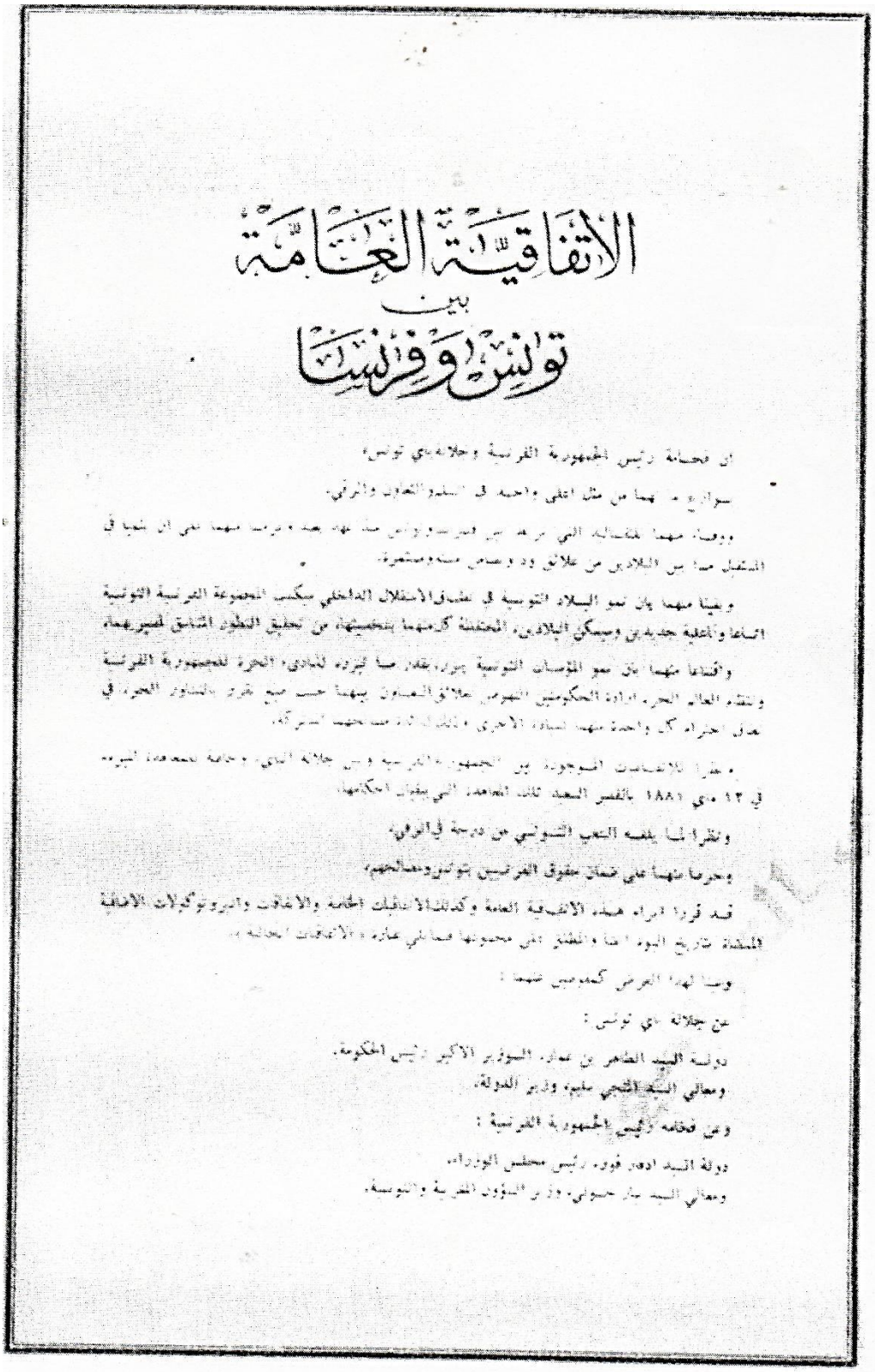

الاتفاقية العامة
بين
تونس وفرنسا

ان فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية وجلالة باي تونس،

سواريم منهما من مثل اعلى واحد في السلم والعدل والرقي،

ورغبة منهما في تسوية المسائل التي نشأت بين فرنسا وتونس منذ عهد بعيد، ورأيا منهما في ان تنتهي في المستقبل ما بين البلادين من علائق ود وحسن مسايرة ومشورة،

ورغبة منهما بان تمهد البلاد التونسية في طريق الاستقلال الداخلي بمكتسب المجموعة الفرنسية التونسية اتساعا وأهمية جديدين وبمكن البلادين المختلفة كل منهما بتخصيصها، من تحقيق التطور الشائق لمصيرهما،

واقتناعا منهما بان سمو المؤسسات التونسية يبرر بقدر ما ليزره للمادئ الحرة للجمهورية الفرنسية وتنشد العالم الحر، ارادة الحكومتين الموقعتين علائق الصداقة بينهما حسب مبدأ تقرير المصير الحر، في عدل احترام كل واحدة منهما لسيادة الاخرى وتأمين [illegible] مصالحهما المشتركة،

وحظرا للاختلافات الموجودة بين الجمهورية الفرنسية وبين جلالة الباي، وخاصة للمعاهدة المبرمة في ١٢ ماي ١٨٨١ بالقصر السعيد تلك المعاهدة التي يتقبل احكامها،

ونظرا لما يلقه الشعب التونسي من درجة في الرقي،

وحرصا منهما على ضمان حقوق الفرنسيين بتونس ومصالحهم،

قد قررا ابرام هذه الاتفاقية العامة وكذلك الاتفاقيات الخاصة والاتفاقات والبروتوكولات الاضافية الملحقة بتاريخ اليوم امضا والمشتركين الذين محبونها فصاري عبارة الاتفاقيات الحالية :

وقد لهذا الغرض كمندوبين منهما :

عن جلالة باي تونس :

دولة السيد الطاهر بن عمار، الوزير الاكبر رئيس الحكومة،
ومعالي السيد الشاذلي مليكة، وزير الدولة،

وعن فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية :

دولة السيد ادغار فور، رئيس مجلس الوزراء،
ومعالي السيد بيار شوني، وزير الشؤون الفرنسية والتونسية،

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه

محمد الأمين باشا باي

صاحب المملكة التونسية

سدد الله اعماله ، وبلغه آماله . الى من يقف على امرنا هذا

من الخاصة والعامة

وبعد فانه تمّ التوقيع بباريس فى ٣ جوان ١٩٥٥ على

الاتفاقيات التونسيّة الفرنسيّة المتضمّنة اتفاقيات واتفاقات

وبروتوكولات اضافية وتبادل مراسلات يأتى نصها

الفرنسىّ وترجمته العربيّة فيما يلى

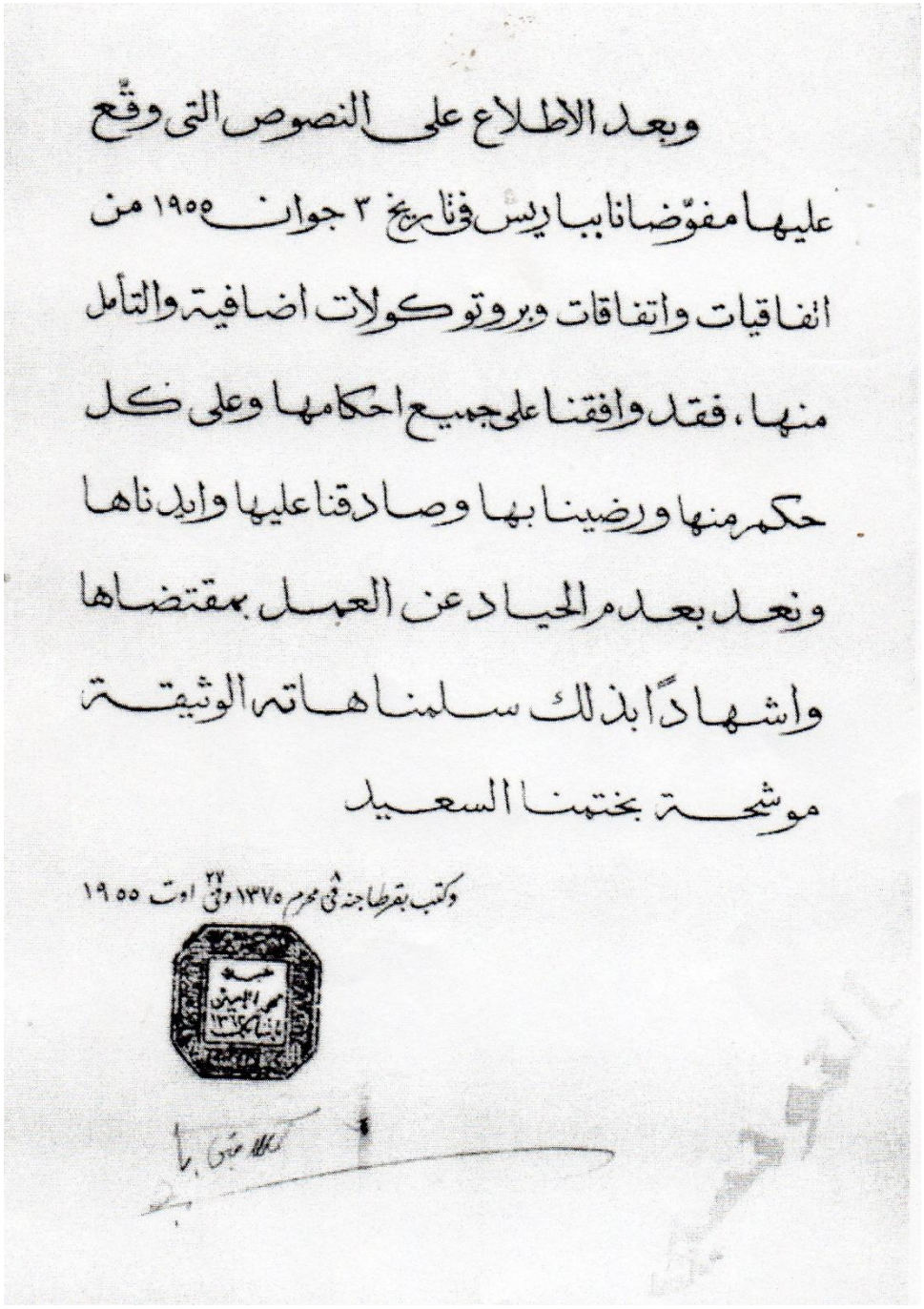

وبعد الاطلاع على النصوص التي وقّع
عليها مفوّضانا بباريس في تاريخ ٣ جوان ١٩٥٥ من
اتفاقيات واتفاقات وبروتوكولات اضافية والتأمل
منها، فقد وافقنا على جميع احكامها وعلى كل
حكم منها ورضينا بها وصادقنا عليها وايدناها
ونعد بعدم الحياد عن العمل بمقتضاها
واشهاداً بذلك سلمناها تاته الوثيقة
موشحة بختمنا السعيد

وكتب بقرطاجنة في ٨ محرم ١٣٧٥ وفي ٢٧ اوت ١٩٥٥

الملحق رقم 07: نص إتفاقية الإستقلال:[1]

بروتوكول الإستقلال (1956)

في 3 جوان 1955 على إثر مفاوضات حرة حصلت بين وفديهما اتفقت الحكومة الفرنسية على الإعتراف لتونس بممارستها الكاملة للسيادة الداخلية فأبديتا على هذا النحو عزمها على تمكين الشعب التونسي من بلوغ ازدهاره الكامل وتولي الإشراف على مصيره على مراحل.

وتعترف الحكومتان بأن التطور المنسجم والسلمي للعلاقات التونسية الفرنسية يتمشى مع مقتضيات العالم العصري ويلاحظان بارتياح أن ذلك التطور يتوج البلوغ للسيادة الكاملة بدون ألام بالنسبة للشعب وبدون صدمات بالنسبة للدولة.

وتؤكد اقتناعهما بأنه بإقامة علاقتهما على أساس الإحترام المتبادل والكامل لسيادتيهما في نطاق استقلال الدولتين وتساويهما تدعم فرنسا وتونس التضامن الذي يربط بينهما لأجل خير البلدين.

وعلى إثر خطاب التولية الذي ألقاه رئيس الحكومة الفرنسية وجواب جلالة الملك المؤكدين لعزمهما المشترك على التقدم بعلاقاتهما في نفس روح السلم والصداقة افتتحت الحكومتان مفاوضات بباريس يوم 27 فيفري وبناء عليه تعترف فرنسا علانية باستقلال تونس.

وينجم عن ذلك :

أ/ أن المعاهدة المبرمة بين فرنسا وتونس يوم 12 ماي 1881 لا يمكن أن تبقى تتحكم في العلاقات الفرنسية التونسية ؛

ب/ أن أحكام اتفاقيات 3 جوان 1955 التي قد تكون متعارضة مع وضع تونس الجديد وهي دولة مستقلة ذات سيادة سيقع تعديلها أو إلغاؤها.

وينجم عن ذلك أيضا :

ج/ مباشرة تونس لمسؤولياتها في مادة الشؤون الخارجية والأمن والدفاع وكذلك تكوين جيش وطني تونسي في نطاق احترام سيادتيهما تتفق فرنسا وتونس على تحديد أو إكمال صيغ تكافل يكون محققا في حرية بين البلدين بتنظيم تعاونهما في الميادين التي تكون مصالحها فيها مشتركة خاصة في مادة الدفاع والعلاقات الخارجية.

وستخضع الإتفاقيات بين فرنسا وتونس صيغ المساعدة التي ستقدمها فرنسا لتونس في إنشاء الجيش الوطني التونسي.

وستستأنف المفاوضات يوم 16 أفريل 1956 قصد الوصول في أقصر الآجال الممكنة وطبقا للمبادئ المقررة في هذا البروتوكول لإبرام الوثائق الضرورية لوضعها موضع التنفيذ.

حرر بباريس في نسختين أصليتين يوم 20 مارس 1956
عن فرنسا : (أمضى) كريسيان بينو
عن تونس : (أمضى) الطاهر بن عمار

[1]– محمود علي عامر: تاريخ المغرب المعاصر، المرجع السابق، ص 344.

الملحق رقم 08: خطاب 25 جويلية 1957م.[1]

Substituer la République à une monarchie indigne

(Assemblée constituante, le 25 juillet 1957)

C'est une grande journée historique que ce jour où les représentants du Peuple se trouvent réunis au sein de l'Assemblée Nationale Constituante, pour décider en toute liberté de la forme future de l'Etat Tunisien et définir la base sur laquelle s'exercera le pouvoir du Peuple.

C'est aussi un jour mémorable pour mon humble personne, puisque, en dehors de ma qualité de chef de Gouvernement, je suis appelé à exprimer mon opinion en tant que simple représentant du Peuple, membre de cette Assemblée. Je le ferai sans détour, sans crainte et sans ménagement, mon jugement n'étant guidé que par l'intérêt de la Nation.

Je voudrais, au préalable, faire une mise au point sur la nature de ce débat. Les orateurs qui m'ont précédé à cette tribune ont longuement parlé des inconvénients de la monarchie. Pour dissiper toute équivoque qui aurait pu naître dans certains espris, je tiens à préciser que nous n'entendons traiter dans cette Assemblée que de la monarchie en Tunisie. Nous n'avons pas à apprécier les régimes qui existent hors de nos frontières.

[1] - habib bourguiba : discoure, tome III, publication de sécretarit d'état à l'Information – Tunis, 1975, p 161.

Notre politique maintes fois définie et proclamée, est fondée sur le respect du choix des autres. Ce qui nous préoccupe exclusivement, c'est le sort de la dynastie qui règne dans notre pays et la forme des institutions que nous sommes en droit de choisir à notre convenance, en tenant compte de notre réalité et des exigences de notre évolution. Préoccupation qui ne saurait altérer notre respect à l'égard des régimes en vigueur dans les pays frères ou amis.

Cette mise au point m'amène à aborder le fond du sujet qui nous réunit aujourd'hui

Je voudrais, en outre, élever ce débat à un niveau digne de la Tunisie nouvelle, digne de nos martyrs et de notre combat.

C'est un fait remarquable qui retiendra votre attention comme il retiendra l'attention du monde entier que, pour la première fois dans l'histoire, les représentants d'un peuple se réunissent pour régler, en toute indépendance et dans le cadre de la mission pour laquelle ils ont été élus, le sort d'un monarque qui attend, dans son palais, le verdict de la Nation, conclusion d'un débat qui se poursuit dans le calme et la dignité. Habituellement, la monarchie, quand elle est récusée par les peuples ou les organisations qui en souffrent, est un régime qui finit dans les bouleversements et les révolutions marquées du sceau de la violence et de la force.

Notre Peuple, conscient du fait qu'il est la source même de la souveraineté, a élu ses représentants pour définir la forme de l'Etat, ses prérogatives et ses institutions. La discussion de ces questions a été retardée pour des raisons que j'exposerai. Le moment est venu de les aborder. Le débat s'ouvre en toute liberté, au vu et au su de tout le monde, et en présence des membres du corps diplomatique et des représentants de la presse.

La Tunisie offre ainsi à ses hôtes un merveilleux spectacle, sans exemple dans l'histoire, et confirme sa réputation de pays novateur, toujours prêt à aller plus loin dans la voie de l'heureuse initiative. Nul doute que le caractère de ce débat impressionnera profondément tous ceux qui sont venus des pays de l'Est et de l'Ouest pour y assister. La décision à

[1]- op cit, p 162.

prendre, quelle qu'elle soit, sera appliquée sans réserve et sans délai, parce que nous avons décidé qu'aucune force ne dominera plus la volonté du Peuple, source de tout pouvoir et de toute souveraineté.

Il n'aura pas échappé à nos hôtes que le Peuple est en avance sur l'évènement.

La joie éclate partout à l'occasion d'une décision attendue, mais non encore prise. On peut se demander pourquoi cet élan, soudain libéré, était jusqu'ici contenu. J'y vois encore un signe de la maturité de ce Peuple. C'est le respect qu'il porte à tout ce qui touche l'Etat qui était à l'origine de sa réserve.

Le Peuple sait que le respect est dû à la fonction de chef de l'Etat quelle que puisse être l'indignité de la famille régnante ou du titulaire du trône.

Ce respect s'adresse à l'Etat et non à la personne de celui que les circonstances et le hasard conjugués ont pu placer à sa tête. Nous avons nous-mêmes présenté régulièrement nos hommages au monarque, depuis plus d'un an, ne voyant en lui qu'un symbôle, comme le drapeau.

Mais il est évident - et c'est là le véritable objet de ce débat - que pour fonder un Etat sur des bases saines et valables, il faut une harmonie rigoureuse entre les personnes et les symbôles.

Aujourd'hui, nous sommes en présence d'un Etat fondé sur la probité, la loyauté, la droiture, affligé d'un symbôle imposé par le hasard des circonstances, mais qui n'est ni respecté, ni respectable : un monarque fourbe et dissimulateur. Une telle rupture d'harmonie doit être corrigée. Elle ne peut l'être que par l'abolition de la monarchie et la proclamation de la République; régime nouveau, seul capable de faire de la Tunisie le patrimoine indivis des Tunisiens.

Le Peuple sera alors seul à assumer la responsabilité de son destin. Telle est la vertu du régime républicain.

[1]- op cit, p 163.

[1]

Les orateurs qui m'ont précédé ont évoqué certains méfaits de la monarchie. Evocation pénible de faits non moins pénibles.

Nous voulons que ce débat s'élève au-dessus des règlements de comptes et du scandale. Nous voyons plus haut et plus loin. Il est certain que le comportement de la famille régnante ne manquera pas d'influencer notre jugement sur la monarchie. Car il serait vain de s'égarer dans un débat théorique sur des mérites comparés des différents régimes constitutionnels. Ce serait un exercice d'école sans relation avec nos préoccupations. Nous avons à examiner une réalité tunisienne où les individus tiennent leur place. Nous ne pouvons faire abstraction de leurs faits et gestes.

Il suffit d'interroger l'histoire de la dynastie qui règne en Tunisie depuis des siècles pour constater qu'elle n'a jamais été à la hauteur de la mission normalement dévolue à la monarchie, gardienne du trône.

A l'avènement de Hussein Ben Ali, son fondateur, en 1706, la Tunisie était plongée dans le désordre hérité de la domination turque. Le Protectorat devait la trouver dans un désordre aussi profond. Dès le début, les rivalités de succession déclenchèrent des révoltes sans lendemains et plongèrent le pays dans la guerre et le sang. Les troubles et la subversion chroniques devenaient les caractères permanents du règne, parce que les monarques de l'époque ne voyaient pas dans la monarchie une fonction sociale.

Ils ne l'envisageaient même pas sous l'angle d'un paternalisme bienveillant, soucieux des intérêts du Peuple. Bien au contraire, le rôle dévolu au Peuple était de satisfaire les désirs du monarque, qui revendiquait pour lui seul les richesses, les plaisirs, le prestige et la force. Telle était la conception de la monarchie fondée sur l'asservissement du Peuple par la violence. Vaincu, le peuple se taisait; le Roi se considérait comme le propriétaire d'un bien transmis en héritage aux descendants. De cette conception étriquée et rétrograde de la monarchie, est née une déformation dans l'esprit et les sentiments des princes.

Première conséquence de cette déformation :

[1]- op cit, p 164.

[1]

Fait pour régner, le prince s'estime dispensé de tout effort pour s'instruire et s'élever. Si bien que l'ignorance est devenue la règle pour ceux qui étaient appelés à assumer les plus hautes responsabilités du pouvoir et la charge des destinées de tout un Peuple.

Là où il fallait la compétence et le savoir, on trouve l'ignorance et la superstition. L'Etat tunisien était fatalement entrainé vers la ruine par une direction incompétente et exclusive qui refusait l'aide déclarée et s'opposait à tout effort de réforme. La situation était sans espoir.

Seconde conséquence de cette mentalité pervertie : cette situation extravagante qui faisait injure au plus simple bon sens a fini par créer en eux un complexe de supériorité. Persuadés qu'ils n'étaient pas de la même essence que ceux qu'ils appelaient les Tunisiens, ils méprisaient le Peuple qui les nourrissait, dilapidaient ses ressources et compromettaient ses chances.

Ainsi s'expliquent les sursauts de révolte qui ont commencé de le secouer bien avant le Protectorat, dès lors qu'il prit conscience que la monarchie le menait droit à l'abîme. Il y eut des révoltes contre les ministres, les mameluks, qui n'étaient que les créatures des Beys. En fait, le Peuple voulait se libérer du pouvoir personnel et échapper à la décadence vers laquelle il se sentait entrainé. Certaines grandes puissances, sans doute poussées par des mobiles inavouables, ont exercé sur certains monarques des pressions qui ont abouti à l'octroi d'un embryon de constitution, le fameux pacte fondamental offert à Napoléon III comme preuve d'amitié et de bon vouloir démocratique. La vérité est que l'intention n'était pas pure, la Constitution devant servir d'alibi et cacher les abus. Le Conseil consultatif était appelé à entériner des augmentations d'impôts pour couvrir des dépenses toujours croissantes, mais il ne pouvait toucher au principe de ces dépenses. de telle sorte que la prétendue réforme n'a guère tardé à dégénérer en catastrophe. Le noyau démocratique qui en avait été l'initiateur était neutralisé, et, quatre ans plus tard, Sadok Bey abrogeait purement et simplement une Constitution à laquelle la dynastie avait juré fidélité.

[1]- op cit, p 165.

[1]

La tête était atteinte, la conception même du pouvoir était mauvaise. Le Pays n'était rien d'autre qu'un patrimoine livré à l'exploitation d'une famille ou d'un individu. Une évolution inexorable ouvrait la voie à la colonisation.

Le Protectorat stipulait une alliance du Bey avec la France, qui lui garantissait la sauvegarde de son trône. C'est l'article 3, qui constitue la clause essentielle du traité de Protectorat. Certes ! la dignité du Bey ne sortait pas indemne de l'aventure, dans la mesure même où il renonçait à une part de sa souveraineté. Mais la dignité passe au second plan. L'essentiel c'est que le trône soit sauvegardé. Le Bey est devenu un instrument de domination légale à la disposition de la France. Ses troupes combattent aux côtés des troupes françaises. Tant et si bien qu'on a pu dire en France : «Le protectorat nous a valu l'économie d'une conquête».

Tout le pouvoir de l'Etat, toutes ses structures, étaient mis au service de la colonisation.

Un collègue, tout à l'heure, a parlé de la convention de la Marsa, comme du second acte d'abdication de souveraineté signé par Ali Bey. En vérité, c'est le troisième. Le second est une autre convention de la Marsa, moins bien connue, signée par le même Ali Bey, qui, dans différents domaines abdiquait explicitement sa souveraineté en faveur de la France; la concession était tellement exagérée, tellement exorbitante, que la France elle-même, craignant des réactions défavorables de l'opinion internationale, a préféré y renoncer pour se satisfaire de la seconde convention de la Marsa.

Aux termes de cette dernière, c'est le Bey qui s'engage à réaliser les réformes suggérées par la France. Telle est bien la mentalité de ces pantins chamarrés, traîneurs de sabres.

Toutes les répressions que nous avons subies, toutes nos prisons et nos bagnes, résultent des textes qui portent le sceau des Beys.

Au lendemain de la première guerre mondiale, le Peuple a regroupé ses forces et voulu signifier à la France que le régime du Protectorat ne

[1]- op cit, p 165.

pouvait plus durer. Oubliant les erreurs passées des beys et leur mépris pour les intérêts de la Nation, la délégation des quarante a cru utile de s'adresser au Bey pour lui demander son appui paternel et lui suggérer de résister au moins aux entreprises du colonialisme. Peu après éclataient les événements du 5 Avril 1922.

Si le Bey avait accepté de résister tant soit peu, nous aurions gagné trente ans de lutte. C'était l'époque où l'Egypte avait ouvert la voie.Saad Zaghloul se trouvait à Paris. Le monde résonnait encore de l'écho des principes Wilsoniens. Si le Bey avait résisté aux côtés du Peuple, la France aurait cédé. On avait pu espérer, un moment, que le rapprochement entre le Bey et le Peuple, amorcé, allait se confirmer et se cristalliser dans une orientation commune. L'affaire, née d'un différend entre le Bey et la France avait pris une tournure politique grâce aux efforts de Moncef Bey. Mais il suffit d'un simulacre de siège du Palais avec une poignée de chasseurs d'Afrique, dépéchés par Lucien Saint, pour que le Bey Naceur s'effondrât.

J'étais encore élève au Lycée Carnot et ne pus m'empêcher d'envoyer un télégramme de protestation au Resident Général Lucien Saint, qui m'attira bien des ennuis. L'affaire se termina par la suspension du journal «Essaouab» qui n'avait fait que reproduire des déclarations publiées par un journal français.

Ce fut la débandade dans les rangs du mouvement nationaliste , suivie d'une cascade de réactions en chaine : procès de M'Hamed Ali, naturalisations, intervention des tribunaux français.

Nous étions revenus loin en arrière. Le Bey nous avait acculés à la défaite. Le Peuple était vaincu. C'est pourquoi, lorsque le mouvement reprit, nous étions décidés à ne plus compter sur le Bey, mais sur nos seuls moyens.

Mais lorsque le mouvement est devenu suffisamment fort, nous avons estimé, à un moment donné, que nous avions intérêt à avoir le roi avec nous pour faire perdre à la colonisation un support essentiel du Protectorat.

[1]- op cit, p 166.

Nous n'avions pas l'intention de lui demander l'impossible . Nous avons pensé qu'il pouvait s'amender et se joindre au Peuple, dans sa lutte. Il aurait pu ainsi lui rendre des services susceptibles de le réhabiliter et de faire oublier son passé.

Nous savions pourtant qu'au sommet de son échelle des valeurs figurait le trône.

En 1950, j'ai eu un entretien avec un membre de la famille royale, le prince Chedly. Je lui ai dit que je n'ignorais rien de l'histoire de la famille, mais que je voulais lui parler en tant que dirigeant responsable d'un mouvement qui se préparait à engager une bataille décisive. Nous avions le souci de rapprocher l'heure de la libération et de nous retrouver du même côté lorsque la France serait revenue à la raison. Sinon, il partagerait fatalement le sort du régime colonial français. N'était-il pas préférable pour la dynastie, cette fois, de jouer la carte du Peuple, plutôt que celle de la France ?

Tôt ou tard, le Peuple devait triompher. J'ai exprimé ce point de vue dans la lettre adressée de la Galite au Bey et dont je vous lirai tout à l'heure quelques passages.

Nous avons rencontré auprès d'eux une position faite de souplesse et de duplicité. Pendant, qu'ils nous prodiguaient en apparence des encouragements, ils se fiaient pour l'essentiel, aux conseils de M. MATTEI. Ils prenaient en quelque sorte une contre-assurance. Mais la lutte devenant de plus en plus serrée, la marge de jeu se restreignait à mesure.

Telle était la situation lorsque fut décidée l'application des réformes de Décembre 1952. On a voulu frapper un grand coup pour impressionner l'opinion : meurtre de Farhat Hached, quatre ou cinq exécutions capitales de patriotes. Le climat était créé. C'est alors que je crus de mon devoir d'adresser au Bey un solennel avertissement et de le mettre en garde contre un plan qui voulait faire de la Tunisie un mélange sans nom, une mosaïque d'éléments hétéroclites à l'ombre du drapeau français Je lui écrivis une longue lettre, que je réussis avec beaucoup de peine à lui faire parvenir.

[1]- op cit, p 167.

Elle contient des réflexions qui prouvent que lorsque nous parlions de monarchie, nous visions seulement la monarchie tunisienne. Au même moment en effet, un souverain arabe, le Sultan du Maroc, endurait la même épreuve et subissait les mêmes pressions, mais adoptait une tout autre attitude. Je l'exposai au Bey en lui demandant de s'aligner sur elle. «La France, disais-je, a été encouragée à poursuivre sa politique diabolique. Elle a réussi à réaliser ses desseins grâce aux hésitations apeurées du Palais. Le Sultan, lui, devançait les évènements : le 16 décembre il diffusait un communiqué, que la presse tunisienne a publié, et qui proclamait que sa Majesté n'avait pas donné et ne donnerait jamais son accord à aucune disposition des réformes qui avaient été présentées par le Résident Général. Le litige qui opposait la Tunisie et le Maroc à la France concernait la participation de la colonie française aux élections, qui constituait une atteinte mortelle à la souveraineté nationale et signifiait l'intégration pure et simple des deux royaumes au territoire français, puisque les nationaux français, donc étrangers, étaient admis à exercer leurs droits de citoyenneté. Je finissais par lui dire : «Le sultan semble vous envoyer ce message : «tenez bon là-bas pendant que je résiste ici. Et Dieu nous aidera tous les deux.»

J'essayais ensuite de relever son moral et celui de son entourage. Je lui faisais remarquer qu'il s'agissait en l'occurence d'une question de vie ou de mort pour l'Etat tunisien. Je pensais qu'il serait personnellement ébranlé, puisqu'il symbolisait l'Etat. «Il s'agit soulignais-je d'une question de vie ou de mort pour la Tunisie. Etat arabe et musulman . Le funeste traité du Bardo, en effet, qui nous fut imposé par les armes, comme en témoigne l'histoire, s'il a limité notre souveraineté interne et externe, a laissé l'Etat tunisien intacte et distinct de l'Etat français. Accepter aujourd'hui que la colonie française exerce le droit de vote fondement de la souveraineté territoriale, au même titre que les citoyens tunisiens, serait reconnaître que la Tunisie est terre française et consentir à son intégration dans la mouvance française.»

NOUS AVONS CHOISI LA REPRISE DE LA LUTTE POUR ANNIHILER LES VISEES COLONIALES

Dans un autre passage de la même lettre je disais : «Alors que depuis trente ans nous luttons pour réduire l'emprise du Protectorat en vue

[1]- op cit, p 168.

de l'abolir et de reconquérir nos droits légitimes à la liberté et à l'indépendance, sommes-nous autorisés, au bout de notre longue marche et après tous les efforts et les sacrifices consentis, à revenir en arrière et à saper la base de notre entité nationale, en apposant le sceau de notre Souverain au bas de décrets et de lois qui nous intègrent irréversiblement dans l'entité française ? N'aurons-nous pas ainsi mérité la malédiction de Dieu, de son Prophète, des générations futures, des martyrs dans leurs tombes, des anges dans le ciel ? Les martyrs ne sont tombés au champ d'Honneur que pour que la Tunisie vive dans la fierté comme terre d'Islam. Faites place à Dieu dans votre conscience et prononcez le mot qui résonnera puissamment et soulèvera la conscience du Peuple tunisien et de tous les peuples du monde ! le mot qui consolidera les assises de votre trône dans les cœurs des Tunisiens et vous mettra, avec vos petits enfants et arrière petits-enfants, à l'abri des coups du sort ! Dites que vous préférez une mort islamique et noble qui vous conciliera la satisfaction de Dieu et de votre conscience à un nouveau reniement des droits d'une Nation qui vous a choisi pour chef et qui vous demandera compte de vos actes. Sachez que l'homme qui préfère la mort à l'humiliation reçoit de Dieu puissance et vie. Telle est la règle imposée par Dieu à sa Création. Elle est éternelle.

Voilà tout ce que je peux faire aujourd'hui, pendant que, banni et errant, je vis à la merci de l'ennemi. Je ne sais ni ce que me réserve demain, ni quand sonnera l'heure de ma mort, ni où je livrerai mon âme à Dieu. Ma recommandation, jaillie d'un cœur pur voué à Dieu, n'est inspirée par aucune crainte par aucun intérêt personnel. Que Dieu, dans sa puissance et sa sublime sagesse, conduise dans la bonne voie qui il veut !

Si les horizons s'obscurcissent et que les voies se confondent à nos yeux, rappelez-vous et méditez le verset divin : «Espérez-vous entrer au Paradis, alors que vous n'avez pas connu les épreuves de ceux qui vous ont précédés ? Ceux-là ont connu le malheur et les souffrances; ils ont été ébranlés au point que le Prophète et les fidèles avec lui se sont demandés quand enfin sonnerait l'heure de la victoire divine. Soyez-en certains : cette heure est proche.»

[1]- op cit, p 169.

Eh bien, le bey n'a pas hésité à signer les décrets contre lesquels je l'avais mis en garde, décrets qui donnaient à la colonie française le droit d'être partie intégrante du corps électoral tunisien : il nous a ainsi acculés à la bataille pour sortir de la défaite et tirer le pays de l'impasse où il avait été engagé. Il peut invoquer l'excuse des pressions auxquelles il a été soumis. Même les pressions ne sauraient, en pareil cas, excuser un geste aussi grave. En vérité, sa volonté n'a pas été forcée. C'est de plein gré et en connaissance de cause qu'il a signé. Il suffit pour s'en convaincre que de se référer aux chiffres des crédits et des dotations supplémentaires considérables qui lui ont été accordés précisément à cette époque, qui se situe à cheval sur les périodes de Hautecloque et Voizard. Le marchandage est incontestable.

D'autre part, lorsque si Taieb Méhiri, à la tête d'une délégation de Tunisiens, est allé le trouver, loin d'invoquer les pressions, il s'est flatté de constater que son point de vue triomphait, alors que le point de vue du Parti aboutissait à l'échec.

Mieux : il n'hésitait pas à tirer argument de la déportation du Sultan pour démontrer que lui seul avait raison.

Le Sultan était tombé dans le panneau que lui avait su éviter. Ce propos contient l'aveu implicite qu'il lui importait exclusivement de se maintenir sur le trône.

Il s'agissait en somme d'un plan bien arrêté. Le Bey avait préféré s'appuyer sur la France et négliger la carte du Peuple et de la Patrie, considérée comme perdante; Quand le vent eut tourné, après la lutte, après les épreuves et la répression engagée avec la responsabilité du Bey, signataire des décrets qui avaient mis tout en branle, le président du Conseil français vint offrir à Carthage l'autonomie interne pour laquelle le Peuple était entré en lutte.

Jour de joie pour le peuple, ce fut un jour de tristesse pour les Beys. Ils se rendaient compte qu'ils avaient perdu la face et se refusaient à croire que la France pût accorder l'autonomie interne. Parce qu'ils avaient joué une carte perdante, ils se résignaient à la victoire du Peuple comme

[1]- op cit, p 170.

on se résigne à un malheur. C'est l'une des raisons pour lesquelles nous ne pouvons avoir confiance en des gens qui, dans la période de lutte, ou bien se rangent du coté des forces du colonialisme, ou bien font un bout de chemin avec le Peuple et reculent devant le danger.

Lorsque, après le triomphe de la cause nationale, nous avons constitué un Gouvernement et entrepris de reconquérir des rouages de l'administration et les moyens du pouvoir, au lieu de chercher à se réhabiliter, ils se sont lancés dans la subversion Youssefiste, jouant la carte qui leur paraissait susceptible de garantir le trône, la succession en ligne directe et le retour de l'âge d'or de la corruption, du vol et des trafics. Et, suprême paradoxe, nous avons vu le roi qui avait abandonné le Peuple, épouvanté par la perspective de l'exil et de la perte du trône, prendre fait et cause pour celui qui demandait le retour à la lutte armée. Il ne s'agissait là, évidemment, que d'une parade. La vérité cachée est qu'il ne voulait même pas que la France nous abandonne les pouvoirs de police.

Au moment, où, au cours de ce qui fut appelé la «petite négociation», menée par Mongi Slim au sein du gouvernement de Ben Ammar, nous nous efforcions d'obtenir le transfert de certains postes de police, de gendarmerie et de Makhzen du Sud, le Bey protestait, devant témoins, auprès du représentant de la France, contre ces transferts, et insistait pour qu'il continuât à assumer les responsabilités de l'ordre.

Ainsi, il n'hésitait pas à poignarder dans le dos son propre gouvernement. Nous avons pu connaître ce scandale. Sans quoi, il y a de fortes chances pour que cette Assemblée ne soit pas réunie à cette heure, parce que le Bey, n'était nullement disposé à accepter le principe d'une constitution élaborée par une Assemblée élue. Il voulait une Constitution octroyée qui serait rédigée par une commission et n'amputerait pas gravement ses prérogatives.

Informé des manœuvres que je viens de vous signaler, je lui laissai craindre une réaction de l'opinion qu'il ne souhaitait certainement pas, si je lui en livrais le secret. Effrayé et déçu par l'attitude de représentant

[1]- op cit, p 171.

de la France qu'il accusait, à tort d'ailleurs, de l'avoir «livré à Bourguiba», il s'est déclaré prêt à signer le décret qu'il avait laissé dormir jusque là. J'ai tenu à préciser ce point d'histoire que beaucoup ignorent. Vous savez maintenant à quoi sont dues les mines d'enterrement qu'arboraient les Beys le jour de la séance d'ouverture.

Ce jour là, ils ont compris qu'ils avaient perdu en misant sur la colonisation : ils se sentaient abandonnés.

Mais ce n'est pas tout. Les difficultés et les atermoiements rencontrés pendant l'autonomie interne sont relativement anodins en comparaison de ce qui m'a été révélé par la suite, lorsque je suis allé négocier à Paris le Protectorat d'indépendance. J'ai appris qu'ils étaient intervenus par la voie diplomatique pour exiger de la France le maintien du fameux article 3 qui garantit la sauvegarde du trône. C'était un acte de haute trahison, passible d'une haute cour. Des têtes couronnées sont tombées, au cours de l'histoire, pour moins que cela. Lorsque je suis revenu avec le protocole de l'indépendance, le Peuple était venu en masse, à ma rencontre. Acceuilli par la joie et l'ardeur d'un Peuple en fête, je trouvai sur l'aire d'atterrissage un simple aide de camp. Je crus que le prince Chedly était souffrant. Je le rencontrai souriant et bien portant au Palais. L'intention était évidente. Ainsi m'était fournie encore une fois la preuve qu'à chaque victoire du Peuple correspondait une catastrophe pour la famille régnante.

Récemment encore, quelqu'un est allé rendre visite au Bey, qu'il n'avait pas vu depuis quelque temps. Sur le ton du reproche amical, celui-ci lui dit : «Vous ne venez plus nous voir. Mais soyez tranquille, les jours sombres passeront». Les jours sombres sont les jours de la Tunisie libre et indépendante.

Outre ces attitudes, on relève une bassesse sans limites, qui ne recule même pas devant les misérables falsifications de factures de fournisseurs.

On nous dit parfois que la monarchie constitutionnelle serait une formule heureuse, qui, tout en permettant d'avoir des égards pour un vieillard, offrirait des garanties suffisantes au Peuple en limitant les prérogatives du monarque. Mais qui peut garantir la souveraineté de ce

[1]- op cit, p 172.

Peuple contre les entreprises sournoises et la duplicité ? La monarchie constitutionnelle exige que deux conditions soient remplies. D'abord qu'il y ait un roi digne d'être le symbole de l'Etat; ensuite que la personne du roi appelle le respect du Peuple. Ce respect ne peut être fondé que sur la conduite et les qualités morales du monarque. La monarchie constitutionnelle est assurément une formule heureuse en Grande-Bretagne.

Il faut que le respect soit dû également au symbôle et à la personne.

Ce n'est pas le cas ici.

D'autre part, il faut que l'on soit assuré d'un minimum de loyauté et de sincérité à l'égard de la souveraineté populaire.

En Angleterre, un long passé témoigne de l'empressement du souverain à respecter la volonté populaire dont les «Communes» sont l'émanation.

Mais comment exiger le respect de la volonté populaire de ceux qui, à l'endroit du Peuple, n'ont que haine et mépris, le tout compliqué par un sentiment de défaite ?

On peut craindre qu'ils ne soient comme le virus qui sommeille dans un corps jeune et vigoureux, mais qui n'attend que le moment de faiblesse pour exercer ses ravages.

Il suffit qu'une grande puissance, pour des raisons conformes à ses intérêts, essaie de les mettre dans son jeu.

Le cas s'est produit d'ailleurs après l'indépendance. L'enquête menée dans l'affaire de Sadok Ben Hamza a révélé que le contact s'est établi, ou a failli s'établir avec la bande youssefiste en vue de dissoudre la Constituante et de destituer le Gouvernement.

Des personnalités françaises étaient prêtes à entrer dans le complot qui a avorté par ce que M. Alain Savary alors, Ministre des Affaires Tunisiennes et Marocaines, s'est refusé à jouer avec le feu. On main-

[1]- op cit, p 173.

tiendrait à la tête de l'Etat quelqu'un qui chercherait l'occasion propice de porter au Peuple le coup fatal. Il s'empresserait de faire n'importe quoi pour se réinstaller dans le climat de faux prestige et de faux semblant dont il graderait la nostalgie.

Je voudrais dire en terminant qu'il ne s'agit pas de vengeance, mais du seul souci du présent et de l'avenir de ce Peuple.

Nous devons prendre une décision susceptible de lui garantir les meilleures chances pour accéder à la gloire et à la prospérité. Nous devons choisir le régime qui puisse nous tranquilliser sur son destin.

La Monarchie absolue ou constitutionnelle n'est pas faite pour nous inspirer confiance.

Le Peuple tunisien a atteint un degré de maturité suffisant pour assumer la gestion de ses propres affaires. Je sais toute l'affection qu'il me porte. Certains ont pensé que je pourrais prendre en charge ses destinées. Mais j'ai un tel respect pour le Peuple tunisien que je ne lui souhaite pas de maître et le seul choix que je puisse lui indiquer est le choix de la République. Ce Peuple, comme une famille unie, sera responsable de son destin. S'il fait preuve de sagesse et de maturité, s'il sait choisir les hommes, qu'il s'agisse des députés, du chef de l'Etat ou des ministres il prendra le chemin ascendant, celui du succès, de la prospérité, de la grandeur. Mais s'il fait mauvais usage de son propre droit, il ne s'en prendra qu'à lui-même.

C'est un acte de foi dans le Peuple tunisien que je fais devant vous. Je sais qu'il est en mesure de disposer de lui-même.

La monarchie s'est disqualifiée. Elle n'est plus en accord avec le sentiment de ce Peuple, avec l'esprit nouveau qui l'anime, avec son orientation.

En toute sincérité, j'affirme que la monarchie nous serait nuisible et ne nous inspire pas confiance, tandis que la République est le seul régime qui convienne à notre Peuple, s'il sait en respecter les exigences

[1]- op cit, p 174.

et sauvegarder l'unité et la solidarité nationales.

En ces moments historiques et alors que nous nous préparons à accomplir un acte d'une portée considérable, la toile de fond est tissée de larmes et de souffrances, je voudrais vous dire que, malgré le niveau auquel nous avons élevé le débat, il est difficile de se libérer complètement des considérations humaines. Nous devons nous y arrêter pour que les générations de l'avenir sachent qu'elles n'ont pas été absentes de nos préoccupations. Je ne puis, personnellement, oublier l'aspect humain des problèmes. Je domine mes sentiments pour prendre les décisions qui s'imposent à la raison et ma conscience. Mais les sentiments existent.

Les épreuves que j'ai traversées ne m'ont pas marqué, parce que je sais m'élever au dessus des inconvénients qui touchent ma personne. De même, les fastes du pouvoir sont sans effet sur moi. Le pouvoir ne me grisera pas. Je sais ce qu'il y a de passager en toutes choses. Lorsque Saladin Ayoubi fut installé sur le trône d'Egypte, on lui présenta des enfants malheureux, derniers représentants des Fatimides. Il en eut les larmes aux yeux, peut-être a-t-il pensé que ses descendants pourraient connaître le même sort.

Je sais tout le déchirement que peut comporter un changement de régime. Nous ferons tout pour maîtriser nos humeurs et nous n'irons pas au-delà de ce qu'exige l'intérêt national. Tout ce qui n'est pas rigoureusement indispensable, tout ce qui risque d'être interprété comme inspiré par la haine ou la rancune, sera évité.

Notre décision sera claire et pleinement justifiée. Le Peuple tunisien défendra sa réputation de peuple toujours prêt à faire son devoir et à donner la priorité à la raison sur la passion. Nous aimons la droiture, la sincérité et le courage. Nous ne reculons pas devant l'audace quand il en faut; mais nous tenons par dessus à l'humanité, à la délicatesse des sentiments. C'est pourquoi nous sommes non seulement estimés, mais aimés à travers le Monde. Nous voulons toujours avoir la conscience tranquille pour pouvoir revendiquer, à tous moments, l'entière responsabilité de nos actes.

[1]- op cit, p 175.

تر وتلخيص خطاب 25 جويلية 1957م

انه أكبر يوم تاريخي , في هذا اليوم ممثلي الشعب مجتمعين في مقر التجمع الوطني الدستوري , لأخذ قرار بكل حرية من أجل مستقبل لتونس, مع تحرير و رسم قاعدة متينة بها تكون سلطة للشعب.

بما أنني كنت مسؤول الحكومة , ولكن حضوري من أجل ابداء و تغيير عن رأيي كممثل بسيط للشعب و عضو في التجمع, و قبل كل شيء دون تردد و خوف عن رأيي هو وضع نقطة أساسية و مؤسسة مع احترام اختيار الآخرين للوصول الى الحقيقة و الهدف المنشود و طرح الانشغال من أجل التطور و الاحترام المتبادل مع الدول الصديقة و الشقيقة.

و الطرح الأساسي لهذا الاجتماع التاريخي هو الشروع مباشرة في لب الموضوع, الذي عقد من أجله الاجتماع, و هو من أجل تونس العزة و الكرامة و سيادة الوطن , و نداء لشهدائنا الأبرار , لأنه حدث كبير ليس في تونس فقط, و انما حاضر للعالم الآخر لأنه لأول مرة يجتمعون ممثلي الشعب التونسي لتسوية بكل استقلالية آرائهم و طموحاتهم.

لأن الشعب التونسي وعي بهذا اليوم المشرق لتحديد شكل الدولة و طرح الحقائق التي كانت متأخرة لظروف حساسة, لكن الأن حان الوقت, بكل شفافية لطرحها و مناقشتها أمام ممثلي الهيئة الدبلوماسية و الصحافة.

لأن تونس مفتوحة لشرفائها العظماء لبناء تونس جديدة, و مغزى هذا اللقاء يبقى راسخ في ذهنيات الدول الحاضرة, من الشرق و الغرب, لأن هذا القرار يطبق دون تأخير أو مزايدة

لأنه قرار نابع من الشعب و لأجل الشعب فالفرحة مست كل الشعب التونسي لأنه قرار كان منتظر لبناء الجمهورية القوية بدستورها و قوانينها ذات سيادة مع احترام الرمز الوطني, و الحقيقة هو بناء دولة على قواعد و أسس صحيحة لا تزول بزوال الرجال.

نحن اليوم حاضرين من أجل دولة مبنية على العدالة, و الأخوة , لتصبح قادرة على تحمل الصعاب , و الشعب هو الوحيد المسؤول على مصيره و نزع الخلافات و الحقد و المساومات لأننا ننظر الى الأعلى و البعيد, أين الشعب يعرف مكانه في الدولة دون مراعاة انشغالاته أو علاقته الشخصية, ولهذا يجب علينا أخذ هذه المهمة الصعبة بجدية لأنها نابعة من القلب التونسي , حتى لا تكون على عهد مؤسسها حسين بن علي سنة 1706م, حيث كانت غير مؤسسة, دولة هشة, غير مستقرة, تخوض دائما حروب من الدم لأن في الماضي لا ينظرون الى مصلحة الشعب, لأن المسؤول يعتبر نفسه مالكا للوطن و للشعب هو السيد و ينشر ما يحل له و لنفسه و ليس للشعب, و كان لها انعكاسات و عواقب منها:

-الجهل أصبح قاعدة للمسؤولين آنذاك.

-عدم القدرة في التصرف و الحكم مما جعل الدولة التونسية ضعيفة دون مستقبل.

ان الشعب أصبح غير قادر عن العبير لأن السلطة كانت شخصية ديكتاتورية لا تحترم ارادة الشعب لأنهم عملاء للباي, و هو بنفسه أصبح آلة في يد الحكم الفرنسي و قوته العسكرية أصبحت تحارب و تقاوم مع المعسكر الفرنسي, حيث تركيبة الدولة في هذا العهد معمولة من أجل مصلحة المستعمر التي عانى منها الشعب كثيرا, ولكن بعد الحرب العالمية الأولى ,

الشعب جمع قوته ليقول لفرنسا, عهد العبودية واستغلال الشعب لا يدوم, حيث ركز الحزب شعبا بمناطق عدة من البلاد و دعا التونسيين الى المشاركة في المظاهرات اثر الوعي الوطني بعد تأسيس الحزب الدستوري, و أصبح الشعب لا يستمد قواه و لا يعول على الباي , ولكن على وسائلنا المقدمة كباقي الشعوب المناهضة, كما تمكنت الحركة الوطنية, من كسب تأييد الكثير من القوى الفاعلة كما حرص الوطنيون على توثيق الصلة بالأمين باي المنصف الذي طلب الافراج عن المعتقلين اثر الاحتجاجات.

و في عام 1950م كان لي حوار مع الأسرة المالكة كمسؤول الحركة التي تحضر من أجل غوص معركة و الوصول الى الحرية, حيث أرسلت رسالة الى الباي و هذه بعض الأسطر منها.

تبين الدور المهم لبورقيبة و للحركة بعد وفاة الزعيم فرحات حشاد و بعض المناهضين الغيورين على وطنهم, بأن لا تكون تونس تحت ظل العلم الفرنسي و لقد كتبت رسالة طويلة محتواها مسألة حياة أو موت للتونسيين , و لا نقبل أن تكون تونس أرض فرنسية, واستئصال الفيروس النازي من رؤوس التونسيين و عليه اخترنا العودة و التصدي للاستعمار و قلت لهم لابد من استرجاع حقوقنا مع الحرية و الاستقلال و ذلك بفضل تضحيات شهدائنا الذين سقطوا في ميدان الشرف من أجل أن تعيش تونس مسلمة في أرض الاسلام و بفضل وعي الشعب التونسي بأن لا عيش بكرامة الا بالمقاومة و التصدي الى المستعمر الغاشم.

لكي تعيشوا حياة شريفة التي منح الله لنا, وهذا ما أقوله لكم لأنني لا أدري متى تدق ساعة الموت, كما أضع روحي من أجل الاسلام و أهديها الى الله و لا هدف لي شخصيا و لا فائدة.

أيها الشعب كونوا يقضين مخلصين, كما كانوا الصحابة مع رسول الله فهي تعس الرسالة.

و بعد الاعتقالات وتنقل بين السجون شرعت فرنسا في التفاوض معي فعدت الى تونس ليستقبلني الشعب استقبال الأبطال لتوقع فرنسا معاهدة تمنح تونس استقلالها الداخلي و بأن الجمهورية هي الطريق الوحيد للشعب التونسي لانقاض الوحدة الوطنية و حتى لا نرجع لما كنا فيه من التناحر و تطمع فينا الدول و هكذا يصبح الشعب التونسي يعرف دوره و يحب الاستقامة و القانون و تحدي كل المصاعب و تكون عندنا الانتقام في أي لحظة و أن يتحلى الشعب بما قمت به لأنني ضحيت بفكري و جسدي من أجل تونس و هكذا لابد عليكم أن تكونوا في وقت مسؤولين.

الملحق رقم 09: عودة بورقيبة من القاهرة:[1]

[1]– خليفة الشاطر: الحركة الوطنية ودولة الإستقلال، المرجع السابق، ص 122.

الملحق رقم 10: أهم معارك المقاومة (1881 – 1882م).[1]

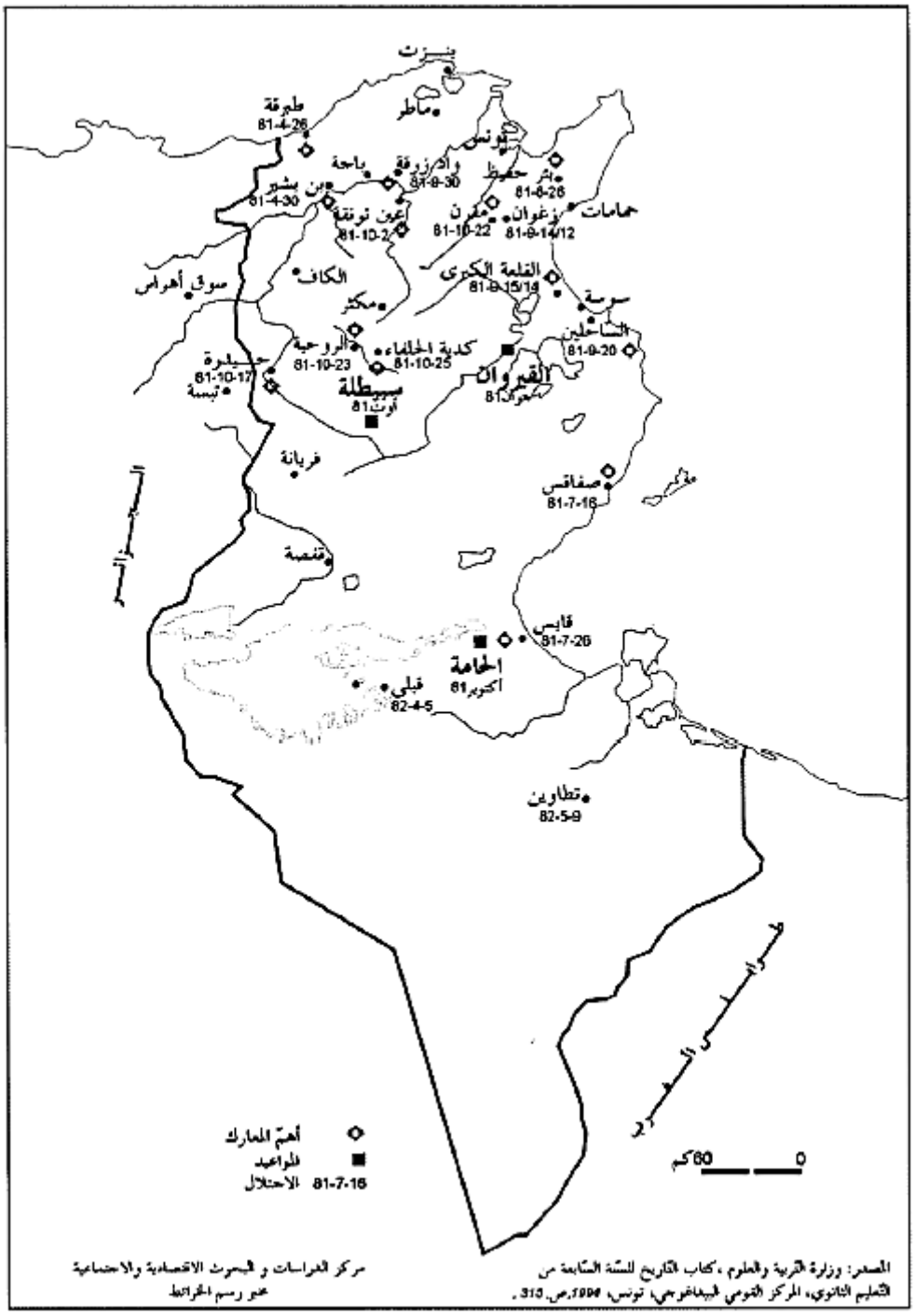

[1]– خليفة الشاطر: الحركة الوطنية ودولة الإستقلال: ص 25.

الملحق رقم 11: الباي محمد الأمين

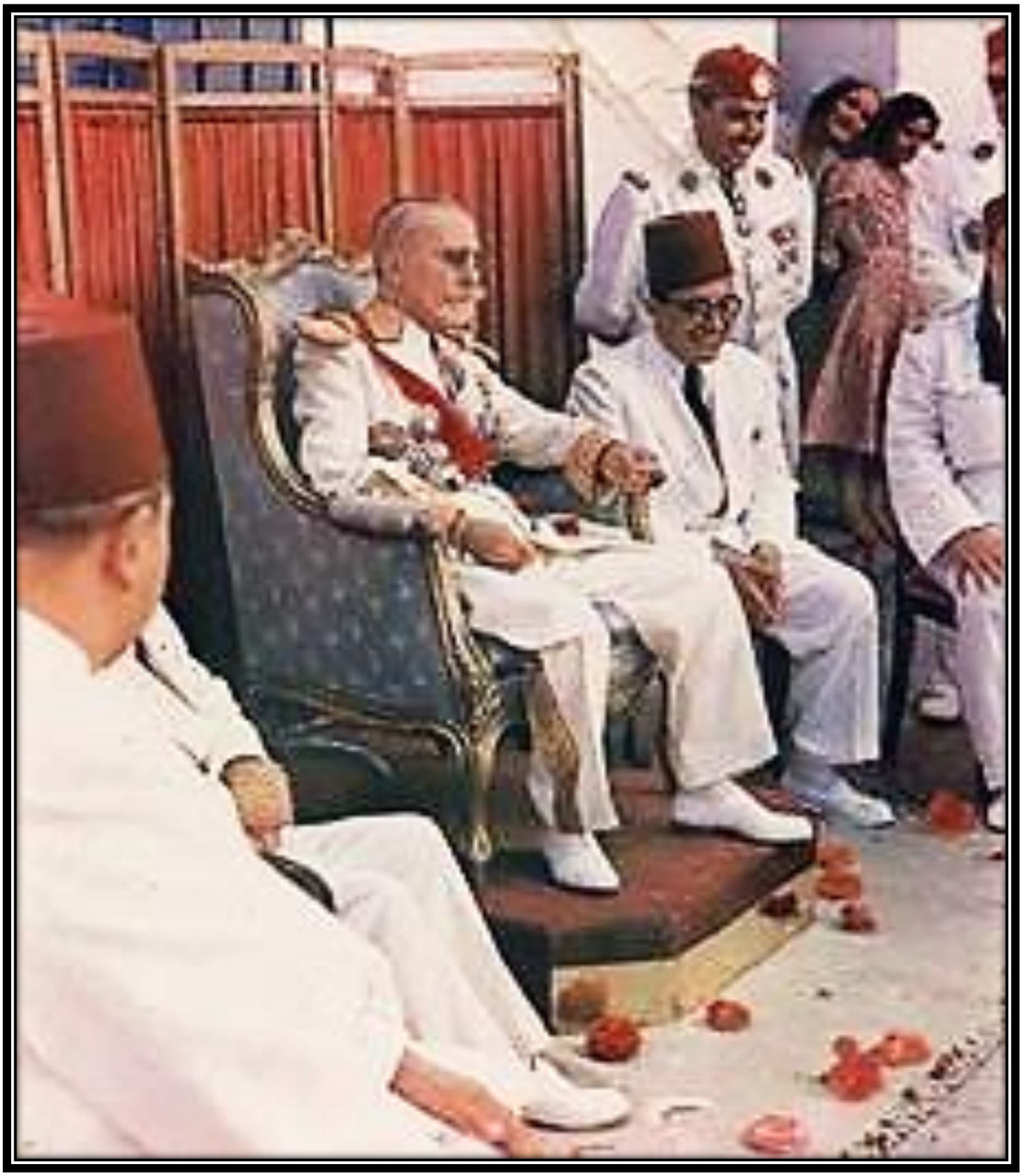

الملحق رقم 12: الزعيم الحبيب بورقيبة

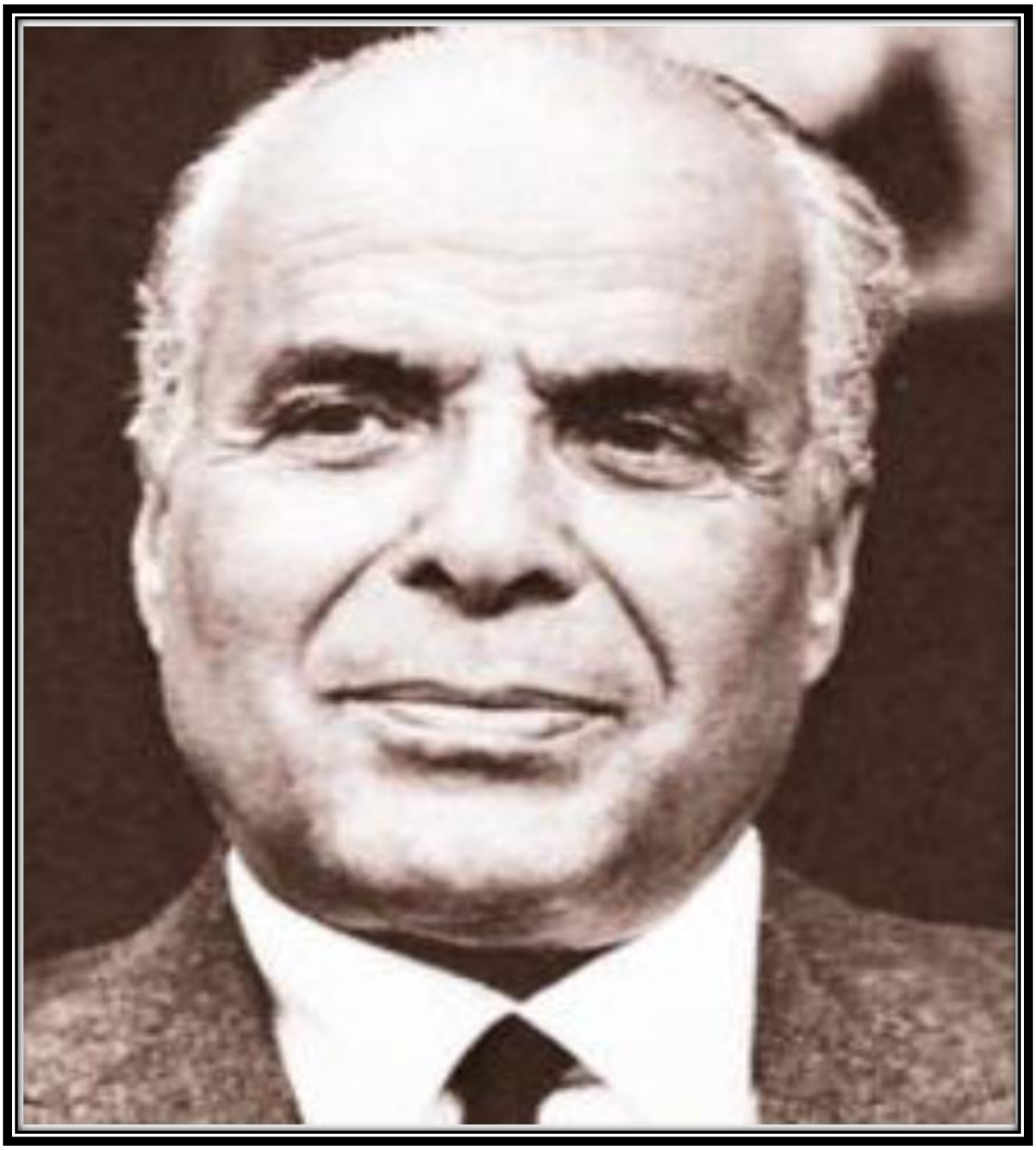

قائمة المراجع

أ- **المصادر:**

1- بكوش الهادي: شهادات على الإستعمار في تونس، الجزائر والمغرب، الجزائر، 2009.

2- بلخوجة الطاهر: الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على العصر، ط1، دار الثقافة للنسر، القاهرة، (د ت ط).

3- بورقيبة لحبيب: جياتي ىرائي جهادي، سلسلة المحاضرات التي ألقاها الرئيس الحبيب بورقيبة أمام طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار حول تاريخ الحركة الوطنية، تونس، 1978.

4- تامرالجبيب: هذه تونس، تقديم الرشيد إدريس، مراجعة وتحقيق حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988م.

5- الثعالبي عبد العزيز: تونس الشهيدة، ترسامي الجندي، ط1، دار القدس، بيروت، 1975م.

6- الديب فتحي: عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، 1990م.

7- روف فيرنر: البورقيبة والسياسة الخارجية لتونس المستقلة، ترالصحبي الثابت، المطبعة العصرية، تونس، (د ت ط).

8- الشريف محمد الهادي: تاريخ تونس في صورها ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، تع محمد لشلوش ومحمد عجينته، ط3، دار سرس للنشر، تونس.

9- الصادق الزملي: أعلام تونسيون، تقديم وتعريف: حمادي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

10- الطاهر عبدالله: الحركة الوطنية رؤية الشعبية قومية جريدة(1830-1956م)، ط2 دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة(تونس)، 1990م.

11- عبد الوهاب حسن حسني: خلاصة تاريخ تونس، تحقيق حمادي الساحلي، طبعة جريدة دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، 2001م.

12- العقاد صلاح: المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، ط5، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1985م.

13- عمار خليفة: المصنف باب الملك الشهيد، ترجمة محمد الطاهر الزواوي، تونس، 2006م.

14- الفيليب الشاذلي: أضواء من الذاكرة، الحبيب بورقيبة، دار الكتب الوطنية، تونس، 2014م.

15- القصاب أحمد: تاريخ تونس المعاصر (1981 – 1956م)، تر حمادي الساحلي، ط1، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.

16- قليل عمار: ملحمة الجزائر الجديدة، دار العثمانية، ج3، الجزائر، 2013م.

17- المدني احمد توفيق: إتحاد المغرب العربي.

18- المدني أحمد توفيق: المعارضة البوسفية وتطوراته، منشورات الكتاب العربي، دمشق، 2001م.

19- المدني أحمد توفيق: حياة كفاح، مذكرات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1988م.

المصادر باللغة الفرنسية:

1- Ahmed khaled: hédi Nouira parcours d'un intelctuelle militant et homme d'etat en puissance et en acte (histoire d'une vie et d'un époque bilan et ecrits), T1, agreé de l'universite de parise, éd Zakhàref, tunise.

2- alan palmer : the pinguins dictionary of twentieth- century history (1900;1982) .new ed oxford 1979.

3- Bourguiba habib: la Tunisie ET la France vigntcinqans de lute pour unecoopérations – ed Julliard jaris, 1954, p p 226-229.

4- Doss, gare d'algerie relations Franco-tunise A47, 26 H19, 1956-1958.

5- habib bourguiba : discoure, tome III, publication de sécretarit d'état à l'Information – Tunis, 1975.

ب- المراجع:

1- البجاوي محمد: حقائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، بيروت، 1971.

2-بوعزيز يحي: ثورات الجزائر خلال القرنين التاسع العشر و العشرون.

3-التيمومي الهادي وآخرون: المغيبون في تاريخ تونس الإجتماعي، بيت الحكمة، تونس، 2000.

4-الجمل شوقي عطاالله وعبدالرزاق ابراهيم: تاريخ العالم العربي الحديث والمعاصر من فتح العثمانيين للعالم العربي إلى الوقف الحاضر، المكتبة المصرية، القاهرة، 2007.

5-الجمل شوقي عطاالله: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث تونس، الجزائر والمغرب، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1977.

6-دار النشر إسماعيل أحمد: تاريخ قطار المغرب العربي السياسي الحديث و المعاصر ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، ط1، دار النهضة العربية، 2004.

7-دسوقي ناهد إبراهيم: دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2008م.

8-الذوادي زهير: تطور الحركة الوطنية (1929-1939م)، دارالتقدم للنشر والتوزيع، تونس، 1982م.

9-رضا ميمون: دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية 0000 إلى غاية الإستقلال.

10- زوزو عبدالحميد: تاريخ الإستعمار والتحرر في إفريقيا وأسيا، ديوان المطبوعة الجامعية، الجزائر، 2009.

11- السرجاني راغب: قصة تونس من البداية إلى الثورة 2011، ط2، دار الأقلام للنشر و التوزيع والترجمة، تونس 2011.

12- شاكر محمود: التاريخ المعاصر لبلاد المغرب، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996م.

13- الشريف محمد الهادي: ماذا يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، ط3، دارالرس للنشر، تونس، 1993م.

14- شقي ابو خليل: الإسلام وحركات التحرر العربية، دار الرشد، مصر، 1976م.

15- الشيباني بلغيث: الجيش في عهد الصادق باي، تقديم عبد الجليل التميمي، منشوات مؤسسة التميمي للبحث العلمي، دار العلم، زغوان (صفاقس)، 1955م.

16- الطاغي حنان إبراهيم وواهب فؤاد علي: قضايا ودراسات في الشأن السياسي بدول المغرب العربي، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، 2015م.

17- عباس محمد حسن: إتجاهات السياسة التونسية، الجمعية العربية للعلوم السياسية، ع3، القاهرة، 1917م.

18- عبد الحفيظ أمقران: مذكرات من مسيرات النضال والجهاد، ط1، شركة وار الأمة، 1997.

19- عبدالرحمان عواطف: الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية (1954-1962م)، دار المامون للطباعة، 1978.

20- العجيلي الليلي: الطرق الصوفية والإستعمار الفرنسي للبلاد والتونسية مج3، (1881-1939م)، منشورات كلية الأداب بمنوبة، تونس، 1992.

21- علي داهش: دارسات في تاريخ المغرب المعاصر، مكتب الكتاب الأكاديمي عمان، 2012.

22- فيصل محمود موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر.

23- محجوبي علي: إنتصاب الحماية الفرنسية على تونس، تع عمر بن ضو، حليمة قرقوي، علي محجوبي، ط2، دار سرس للنشر، تونس، 1993م.

24- محفوظ محمد: تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1982م.

25- محمد الأزه العربي، رغم الإستعمار، ط1، دار النفوس العربية، تونس 2013م.

26- محمود علي عامر: تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2005م.

27- مقلاتي عبد الله، العلاقات الجزائرية والمغاربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية، (1954 – 1962م).

28- ياغي إسماعيل أحمد: تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000م.

29- يوسف مناصرية: الحزب الحر الدستوري التونسي(1919-1934م)، ط1، دار المغرب الإسلامي، لبنان، 1988م.

ج- الموسوعات:

1- أنو محمد الزناتي: موسوع تاريخ العالم.

2-بوذينة محمد: أحداث العالم في القن العشرين (1940 – 1949م)، منشورات محمد بوذينة، تونس، دجلة عمان، 2008.

3-الريدي مفيد: موسوعة التاريخ العربي المعاصر والحديث، دا اسامة، الردن، 2004م.

4-عاطف عبد: موسوعة قصة تاريخ الحضارات العربية، تونس، الجزائر، إيديتو للنشر، بيروت، 1999م.

5-عبد الكافي إسماعيل عبد الفتاح، موسوعة الدول والبلدان والأماكن، منشورات المكتبة الإسكندرية.

6-محمد موسى محمود: موسوعة الوطن العربي.

7-مسعود الخون: الموسوعة التاريخية الجغرافية معالم

المراجع المترجمة:

- جوليان شارل أندري: إفريقيا الشمالية، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1976م.

مقالات الدوريات العلمية:

- مصطفى كريم: قضية الحقوق النقابية بتونس (1981 – 1952م).
- مصطفى كريم: إنضمام الإتحاد العام للعمال التونسيين إلى الفيدرالية النقابية العالمية.

الرسائل الجامعية:

1- حبيب حسن اللولي: التونسيون و الثورة الجزائرية 1954-1956، أطروحة لنيل شهادة دكتوراة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006، 2005.

2-قدادرة شايب، الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري (0934-1954)، دراسة مقارنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة الدولية في التاريخ الحرية و المعاصر، جامعة مستوري قسنطينة (2006، 2007).

3-معزة عزالدين، فرحات عباس والحبيب بورقيبة، دراسة تاريخية و فكرية مقارنة (1899، 2000)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراة العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر جامعة مستوري، قسنطينة، الجزائر، (2005، 2010).

ميسوني رضا: دور الوطنية المغاربية في حركة تحرير تونس والجزائر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الإستقلال، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، (2011، 2012).

الملخص:

مما سبق نستنتج أن الإستعمار الفرنسي فرض سيطرته منذ البداية وذلك من خلال محاولته محو الهوية الوطنية لكن الشعب التونسي وقف في وجهه من خلال المقاومات التي لم تستمر طويلا لتظهر بعد ذلك نخبة تدافع عن مبادئ التونسيين وحقوقهم.

ومما تقدم نستخلص بأن ظهور النشاط السياسي في تونس كان مبكرا، فقد برز هؤلاء بنشاطهم حيث ظهروا في البداية من خلال تأسيس الجمعيات والحركات ليتطور نشاطهم بعد الحرب العالمية الأولى إلى أحزاب سياسية لها مقراته الخاصة وبرنامجها الواضح من خلال مطالبتها بإسترجاع حرية وحقوق التونسيين التي سلبها منهم المستعمر وهذا بفضل توجيهات الحبيب بورقيبة الذي سعى جاهدا إلى إزاحة الباي محمد أمين من منصبه وتغيير النظام من ملكي إلى جمهوري.

Le résumé de l'étude :

A partir de cette étude on conclure que le colonialisme français domine se force dès le début par l'ignorance de l'identité nationale.

Mais le peuple tunisien réagit en face grâce aux mouvements et révolutions, jusqu' à la proclamation de l'illite qui défend sur les principes des tunisiens et ses droits. Selon l'analyse on dit que l'activité politique à la Tunisie est reconnue tôt, Suite au travail par la création des associations et mouvements, et aussi après les premiers politiques ont ses sièges privés et leurs programmes claire et net qui annonce et déclare le but c'est récupérer sa liberté et droits des tunisiens, grâce aux directives de : ELHABIB BOURGUIBA, ce dernier mener plusieurs efforts pour échapper ELBEY : MOHAMED AMINE de son poste, et changer le régime royal au république.